

إسهامات الأقباط في الحضارة الإنسانية

عبد صموئيل فارس

تقديم
الدكتور عماد جاد



إسهامات الأقباط في الحضارة الإنسانية

الأقباط وإسهاماتهم في الحضارة الإنسانية



عبد صموئيل فارس



SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW SEFSAFA NET

عبد صموئيل فارس/ كاتب وباحث مصري له مقالات ودراسات في السياسة والتاريخ والشأن العام، نشرت له العديد من المساهمات حول الأحداث الجارية في مصر بمواقع وصحف مختلفة منها "الحوار المتمدن".
يعمل مديرا إداريا بمركز "دراسات أحوال مصر" بالقاهرة منذ عام 2013.

إسهامات الأقباط في الحضارة الإنسانية
عبد صموئيل فارس
الطبعة الأولى يوليو 2015
رقم الإيـــداع: 2015/14845
الترقيم الدولي: 978-977-5154-50-7

الناشر
محمد البعلي

اخراج فني
علاء النويهي



دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

إسهامات الأقباط
في الحضارة الإنسانية

المحتويات

مقدمة

تمثل الحضارة المصرية القديمة "فجر ضمير الإنسانية"، فقد حققت تلك الحضارة قفزات نوعية هائلة في كافة المجالات، ولا تزال اختراعات الفراعنة واكتشافاتهم تفيد الإنسانية اليوم، كما أن بعض جوانب هذه الحضارة لا يزال عصيًّا على الفهم. حقق قدماء المصريون تقدمًا في مجالات الفنون والآداب، والموسيقي، كما حققوا تطورًا كبيرًا في العلوم التطبيقية، وفي مجالات الطب والهندسة والفلك، ويكفي أن نشير إلى أن قدماء المصريين صنعوا خيوط الجراحة من أمعاء القطط، وهي الأفضل من بين خيوط الجراحة حتى يومنا هذا، كما برعوا في عمليات علاج كسور العظام، وأجروا عمليات جراحية دقيقة في رأس الإنسان.

برع المصريون القدماء في الزراعة، قسموا فصول السنة إلى ثلاثة، ولا يزال الفلاح المصري يزرع ويروي ويحصد وفق التقويم المصري القديم. لم يقبل المصري أن يكون رقمًا ضمن مجموعة أرقام، فمصر على مدار تاريخها الطويل كانت رقمًا صعبًا ومؤثرًا، استقبلت القديس مرقس كاروز ديارُها، فمثلت كرسيًّا رئيسيًّا من بين كراسي المسيحية المختلفة، ومنها خرجت الرهبنة إلى العالم، وعلى يد قديسيها تمَّ حفظ الإيمان، وبشروا به في أوروبا، لدرجة أن قديسة مصرية صعيدية، هي القديسة فيرينا، أثرت في سويسرا،

وهناك نحو سبعين كنيسة تحمل اسمها في سويسرا فقط، ووصل تأثير المبشرين الأقباط إلى أطراف المحيط الأطلسي عندما بشروا في إيرلندا وغيرها من الدول المجاورة. وعندما تحوَّل غالبية المصريين – لأسباب عديدة– إلى الإسلام، فإن مصر لم تقبل إلَّا أن تكون رقمًا صعبًا من بين بلدان العالم الإسلامي، ويكفي أن نشير إلى وجود المرجعية الأولى للإسلام السنيِّ في العالم في مصر، ممثلة في الأزهر.

وفي الوقت الذي تخصَّص فيه كبرى جامعات العالم في أوروبا وأمريكا الشمالية أقسامًا مهمة لدراسة الحضارة المصرية القديمة، ويتخصص علماؤها في "علم القبطيات" أو الـEgyptology، فإن جامعات مصر ذاتها تتوارى خجلًا، فلدينا ذخيرة تتمثل في اللغة المصرية القديمة، التي تعد القبطية امتدادًا طبيعيًّا لها، وما من اهتمام بها سوى من قِبَل الكنائس وعدد من الأسر القبطية في صعيد مصر تحديدًا. وفي تقديري أن محصلة كل ذلك تتمثل في عدم معرفة المصريين بإنجازات أجدادهم الفراعنة، ونقصد بذلك جميع المصريين، فالأصل العِرْقي للغالبية الساحقة من المصريين واحد، ولكن في زمن الانحطاط والتدهور باتَ قدر لا بأس به من المصريين ينظر بسلبية إلى أجداده، فقد ألحُّوا عليه أنهم كانوا وثنيين، وأخذوا يحاسبون الأجداد برؤى الأديان الإبراهيمية التي لم يكن قد ظهر منها سوى اليهودية فقط، وهي ديانة مغلقة وأتباعها متعالون على باقي البشر.

لقد آن الأوان للاهتمام بتاريخ مصر القديم وتقديم صورة حقيقية موضوعية له؛ ومن هنا تأتي أهمية الكتيب الذي بين أيدينا "الأقباط وإسهاماتهم في الحضارة الإنسانية"، الذي يمثل محاولة من شاب

مصري مثقف لتقديم حافز للشباب المصري للقراءة في تاريخ بلاده وأجداده وإسهاماتهم في الحضارة الإنسانية، صحيح أن الكتاب يتناول موضوع إسهامات الأقباط في الحضارة الإنسانية، بشكل خفيف وموجز، إلَّا أنه يمثل طلقة البداية لمزيد من الكتابات في هذا المجال الخصب والحيوي الذي يجعل المصري معتزًّا بأجداده العظماء وبحضارة بلاده التي تمثل طبقة مهمة من طبقات الحضارة المصرية، في وقت كان لها فيه الكثير من الفضائل على الإنسانية.

د. عماد جاد

القاهرة مايو 2105

الفصل الأول

يقول كونفوشيوس (حكيم الصين في القرن السادس ق. م): "يدرس الناس الماضي والتاريخ منذ قديم الزمن بهدف تطوير أنفسهم". ولأن تاريخ البشر وما وقع فيه من أحداث، يمثل خلاصة تجارب الإنسانية؛ فسوف نجد فيه حكمة الزمن وهداية العظة والعبرة، وقالوا قديمًا: السعيد من يتَّعظ بغيره والشقي من يتَّعظ بنفسه. وإن كان التاريخ يعيد نفسه كما يقول الناس، فإنه لا يعيد نفسه بنفس السياق، فلا يصحُّ أن نهمله، كما لا يصح أن يكون عاملًا يجذبنا إلى الوراء. ولا شك أن درجة الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي تتحدد عند الفرد بقدر إلمامه بالتاريخ، فهو يمثل أحد الأركان الرئيسية في بلورة ثقافة الشعوب وترسيخ كياناتها.

اللغة القبطية هي لغة البلاد المصرية في عهدها الأول، أيام كان أهلها يحكمون أنفسهم ولا تدخُّل لأجنبي فيما بينهم، وكان يتكلم بها الحاكم والمحكوم، والعالم والتاجر والفلاح. تُلقَى بها المحاضرات في الأندية العامة والخاصة، وتُصْدَر بها الأوامر فيتلقاها الكبير والصغير ويفهمون معانيها. إنها استمرت لآلاف السنين، ولم تزل إلى الآن معروفة، لم تَمُت كما مات غيرها من اللغات التي لم يُبْقِ الدهر إلا بعض آثارها.

ولقد قام العلَّامة توت (الذي أَلَّهَهُ المصريون، وعرفه اليونان

بـ"هرمس"، واليهود بـ"أخنوخ"، والعرب بـ"إدريس")، بوضع علامات خاصة لمعانٍ، فنشأ الخط الذي نكتبه الآن. واهتم خلفاؤه الكهنة بالأمر كثيرًا، فكتبوا على الآثار بخط سُمِّيَ فيما بعد بـ"الخط الهيروغليفي"، وهو خط يُكْتَب بطرق تصويرية، ويسمى الخط المقدس، وكانوا يكتبون به على الأحجار والخشب والمعادن. ثم رأى الكهنة – وهم الطبقة الراقية- أنه يصعب عليهم إتقان الرسوم على القرطاس عندما يريدون كتابة شيء بسرعة، فاتخذوا خطًّا لا يختلف عن الهيروغليفي إلَّا في أنه غير متقن كثيرًا، ودعوه الخط الهيراطيقي (أي الخط الكهنوتي). غير أن العامة لم يمكنهم تعلُّم هذين الخطين بسهولة، فاتخذوا لهم خطًّا خاصًّا بهم عرف بـ"الديموطيقي"، وبهذا الخط الأخير كانت تكتب الصكوك وغيرها.

واستمر المصريون يستعملون هذه الخطوط الثلاثة إلى أن أُبْدِلَت بالخط المعروف بالقبطي في القرن الثاني المسيحي في مدرسة الإسكندرية.

ومع أن المحاولات الأولى للكتابة بالحروف القبطية، وكذلك الوثائق المعروفة باسم النصوص القبطية القديمة، قد تمت كلها بمعرفة الجماعات الوثنية بمصر، إلا أن الفضل في تثبيت الألفباء القبطية في الوضع الذي تُعْرَف به حاليًّا، وتطبيع نظام هجاء الكلمات، وتطويع القواعد والأساليب، لا بد أن يُعْزَى إلى الكنيسة القبطية في مصر، كجزء من برنامجها التبشيري في حبرية البابا ديمتريوس الإسكندري (المعروف بالكرام) البطريرك الثاني عشر (189-232م) وخلفائه.

وقبل القرن الحادي عشر، عندما رأى الأقباط أن استعمال لغتهم

وتداولها بدأ في الاضمحلال وأشرف على الزوال، أسرعوا في كتابتها وتداولها في بطون المجلدات، وألَّفوا لها معاجم أطلقوا عليها اسم "المقدمات"، وألَّفوا لها قواعد نحو، وأطلقوا عليها اسم "السلالم".

غير أن وجودها للآن حيَّة بلا فائدة لأصحابها، فلم يعودوا يعرفونها، على عكس الأجانب الذين تعلَّموها لكي يترجموا ما يجدونه من الكتب الثمينة القديمة المكتوبة بها، وهذا يجعلنا في خجل عظيم لعدم تفوقنا عليهم بالاهتمام التام بأمرها، والعمل على استمرارها حية. والناظِر إليها والمُدَقِّق فيها يجدها لغة مَبنيَّة على قواعد صحيحة. وفي الحقيقة هي لغة التمدين القديم، وبها تكلمت أعظم أمة وأقدم شعب شهد التاريخ بتمدينه قبل غيره، إذ كانت الأمة المصرية من أرقى الأمم في العلم، وعنها اقتبس غيرها من الأمم المعارِفَ، حتَّى موسى النبي قد ارتوى من مناهِل علومها؛ فقد شهد الكتاب المقدس عنه قائلًا: "إنه تهذَّب بكل حِكمة المصريين" (أع 7: 22)، نظرًا لتربيته في بيت فرعون.

اللغة القبطية هي المرحلة الأخيرة من مراحل تطور اللغة المصرية التي تكلم بها وكتبها قدماء المصريين منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، والرأي السائد لدى العلماء أنها تنحدر من اللغة المصرية المتأخرة Late Egyptian مباشرة، حسبما كانوا يتحدثونها في القرن السادس عشر قبل الميلاد مع بداية الدولة الحديثة.

ولكن العلامة شيّن M. Chaine يسجل رأيًا جديدًا في مقال له عن اللغة الوطنية الشعبية لمصر القديمة (نُشر في المجلد الثالث عشر لمجلة جمعية الآثار القبطية بالقاهرة، صفحات (190-179)، يؤكد فيه أن اللغة المصرية واللغة القبطية كانتا متعاصرتين وموجودتين

معًا منذ أقدم العصور، ويقدم دراسة مستفيضة لقواعد اللغتين يستخلص منها أن اللغة المصرية لم تكن لغة تخاطب، وإنما هي مأخوذة عن القبطية – باعتبار القبطية هي الأصل- وقد صيغت بحيث يقتصر استخدامها من جانب الكهنة والكتبة على الكتابة فقط، أي أن اللغة المصرية لغة صاغها بعض المصريين الناطقين بالقبطية لهدف الكتابة بها فقط، وظلت معرفتها محصورة في دائرة الكَتَبة وحدهم دون عامة الشعب.

خطوط الكتابة المصرية:

المعروف أن الكتابة المصرية القديمة كتابة تصويرية بدأت بالخط الهيروغليفي، أي النقش المقدس، مع عصر الأسرة الأولي (3110 -2884 ق. م) أو قبلها ببضع سنوات.

وقد استخدم الخط الهيروغليفي للنقش على حوائط المعابد والمقابر والنُّصُب الحجرية، وللكتابة به على أوراق البردي، وبتبسيطه اشتق منه الخط الهيراطيقي (أي الكهنوتي)، وقد استخدمه الكهنة للكتابة به على أوراق البردي.

ثم ظهر الخط الديموطيقى (أي الشعبي) في زمن الأسرة الخامسة والعشرين، وهي الأسرة الكوشية، أي الإثيوبية (657 - 736 ق. م)، وهي كتابة سريعة مختصرة من الخط الهيراطيقي، وأصبح خلال عصور البطالمة والرومان هو الخط المعتاد لاستخدامات الحياة اليومية.

وآخر ما لدينا من النصوص الهيروغليفية وُجد في جزيرة فيلة بأسوان، ويرجع إلى سنة 394م. بينما آخر ما لدينا من النصوص الديموطيقية يرجع إلى سنة 452 أو 470م، وبدخول اليونانيين البطالمة إلى مصر ظهرت الكتابة القبطية باستخدام الأبجدية اليونانية، مع إضافة سبعة أحرف من الديموطيقية لتمثيل الأصوات القبطية التي لا يوجد ما يمثلها في الحروف اليونانية.

وفي البداية كانت الرموز الديموطيقية المستعارة في الكتابة القبطية أكثر من الحروف السبعة، التي استقرت فيما بعد في آخر

الأبجدية القبطية، وهي: شاي، فاي، خاي، هوري، جنجا، شيما، دي.

أما اللغة القبطية الحالية فهي تعتبر اللهجة العامية للغة المصرية القديمة، وقد كتبت هذه اللغة بعدة خطوط مصرية، ومرت بمراحل مختلفة كان الخط القبطي هو آخر مرحلة مر بها.

الخطوط المصرية:

الخط الهيروغليفي: كان مقدسًا عند المصريين، وكانوا يستعملونه أمام معبوداتهم.

الخط الهيراطيقي: وهو أسهل من سابقه، وقد استعمله الكهنة في كتاباتهم.

الخط الديموطيقي: وهو الذي استخدمه الشعب المصري في العصور المتأخرة، ويعني باليونانية: الخاص بالشعب، وظهر في الأسرة الـ25 من سنة 715 إلى 666 قبل الميلاد.

الخط القبطي: في القرن الثاني الميلادي قام القديس بنتينوس مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بترجمة قبطية للكتاب المقدس.

ويجدر بنا أن نلاحظ أن الكتابة القبطية هي الوحيدة بين صور الكتابة المصرية التي تسجل الحروف المتحركة، فتعطينا فكرة دقيقة عن طبيعة نطق الكلمات المصرية، وبالتالي فإنها تُظهر أيضًا اختلاف نطق اللغة من منطقة إلى أخرى، فتتضح في الكتابة القبطية فوارق اللهجات.

ولهذا نستطيع من قراءة الوثائق القبطية أن نحدد اللهجة

المكتوبة بها، هل هي بحيرية أو صعيدية أو فيومية أو بهنساوية أو أسيوطية أو أخميمية، أو واحدة من اللهجات الفرعية الموجودة في نقاط التلاقي بين المناطق الناطقة باللهجات الرئيسية.

المحاولات الأولى للكتابة القبطية:

إن أقدم وثيقة موجودة إلى الآن تسجل واحدة من المحاولات الأولى لكتابة لغة التخاطب المصرية بالحروف اليونانية (Proto-Coptic) هي بردية هايدلبرج 414 التي ترجع إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وتشتمل على قائمة لمفردات قبطية بحروف يونانية، مع ما يقابلها في المعنى من الكلمات اليونانية، وهي مكتوبة بواسطة شخص يوناني، وربما سبقت هذه الوثيقة محاولات أخرى لم تصل إلينا.

والمرحلة التالية في العصر الروماني، وهي المعروفة بالكتابة القبطية القديمة Old Coptic، وترجع وثائقها إلى المصريين الوثنيين الذين عاشوا في القرنين الثاني والثالث للميلاد، وهي وثائق لا علاقة لها بالمسيحيين؛ لأنها تتصل بالسحر والتنجيم، بالإضافة إلى لافتات المومياوات وما شابه ذلك.

المؤثرات اليونانية في اللغة القبطية:

بدأ تأثير المفردات اليونانية في اللغة القبطية مع فتح الإسكندر الأكبر لمصر (332 ق. م) عندما تبنت الإدارات الحكومية استخدام المصطلحات اليونانية، فتعلم موظفو الحكومة المصريون اللغة

اليونانية، كما تعلمها أهل الإسكندرية بمختلف طبقاتهم، وامتد انتشار اليونانية ليشمل المدن الكبرى وبخاصة في الدلتا، وفي نفس الوقت تعلم اللغةَ المصرية عددٌ قليل من اليونانيين.

فمن الطبيعي أن تدخل بعض المفردات اليونانية إلى اللغة المصرية وتظهر في النصوص الديموطيقية، وقد زادت حصيلة الكلمات الدخيلة مع الزمن، فوجدنا في اللغة القبطية كثيرًا من المفرْدات اليونانية وقد تطبعت بالطابع القبطي، وكانت تستخدم جنبًا إلى جنب مع حصيلة مفردات التراث القبطي الأصيل داخل إطار قواعد اللغة القبطية، التي لا علاقة لها بقواعد اللغة اليونانية.

لماذا استخدمت الحروف اليونانية دون غيرها في كتابة القبطية:

1. لأنها لغة المحتل (كانت مصر تحت الحكم الإغريقي) وحتى يمكن التفاهم معه.
2. جذور اللغة اليونانية القديمة والقبطية متقاربة.
3. استقبلت مصر كاروز الديار المصرية مار مرقص البشير، وكانت لغته الأصلية اليونانية، وترك لنا إنجيله باللغة اليونانية.
4. اهتمام بطليموس (332 ق. م) بنشر اللغة اليونانية والثقافة الهيلينية من أجل سهوله فرض سيطرته على البلاد.
5. كانت اللغة اليونانية اللغة الرسمية في الدواوين والمؤسسات الإدارية مثل مدرسة الإسكندرية والمكتبة والمتحف.
6. كانت اللغة اليونانية شائعة في الإمبراطورية الشرقية، وكانت

تحمل الأدب اليوناني والفلسفة الهيلينية والتراث الإغريقي، فضلًا عن كونها لغة التحدث والتخاطب.

تاريخ الترجمة القبطية للأسفار الإلهية:

يُرجَّح أن ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة القبطية بدأت في النصف الأول من القرن الثالث الميلادي، فقد تمت ترجمة الأناجيل إلى القبطية قبل سنة 270م؛ لأنه في نحو تلك السنة تأثر القديس أنطونيوس، الذي لم يكن يعرف اليونانية، بقراءة الإنجيل أثنا العبادة في الكنيسة، فبعدما سمع فصل الإنجيل الذي يقول فيه الرب للغني: «إن أردت أن تكون كاملًا فاذهب وبِعْ أملاكك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني» (مت 19: 21)، خرج من الكنيسة ووزع ممتلكاته على القرويين، فلا بد أنه سمع الإنجيل يُقرأ باللغة القبطية.

كذلك فإن أقدم ما لدينا من المخطوطات الكتابية بالقبطية، يرجع إلى القرن الثالث الميلادي، كما أن قوانين القديس باخوميوس (حوالي سنة 321م) تقضى بأن يقرأ الرهبان الكتب المقدسة بالقبطية.

ولئن كانت ترجمة بعض الأسفار الإلهية بدأت في القرن الثالث، كما أسلفنا القول، إلا أن الترجمة الرسمية لمعظم الأسفار لم تكتمل إلا في القرن الرابع، وكانت باكورة الأسفار المترجمة إلى القبطية نقلًا عن اليونانية هي - على الأرجح- البشائر والمزامير، واستمر نشاط ترجمة الكتب الكنسية من اليونانية إلى القبطية إلى زمان مجمع خلقيدونيا سنة 451م، الذي أدت أحداثه المريرة إلى انصراف

القبط تدريجيًا عن التراث المكتوب باليونانية، وفقدان كل اهتمام بمواصلة ترجمته إلى القبطية.

اضمحلال اللغة القبطية:

العصر العربي: استمرت مصر تتكلم القبطية منذ عصر الفراعنة حتى وقت دخول العرب إليها في القرن السابع الميلادي، كذلك كانت اللغة اليونانية منتشرة في الإسكندرية وبعض المراكز الثقافية في المدن الكبرى والإدارات الحكومية، إلى جوار القبطية، خلال حكم البطالمة والرومان.

وبدخول العرب بدأ استخدام اللغة العربية في الظهور والانتشار بين المصريين بصورة تدريجية، وما إن حل القرن الثاني عشر حتى كانت معظم بلاد الوجه البحري وكثير من بلاد الوجه القبلي تتحدث اللغة العربية.

وعندما جاء القرن الثالث عشر وضع علماء القبط مؤلفاتهم اللاهوتية باللغة العربية، مما يؤكد سعة انتشار اللغة العربية بين القبط في ذلك الوقت، ولكن اللغة القبطية ظلت لغة التخاطب في الحياة اليومية في بعض مناطق الوجه القبلي حتى القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، وإذا كانت قد استمرت بعد ذلك فبصورة فردية، أو كبقايا تراث منعزل في بعض الأماكن النائية، هذا بخلاف محاولات الغيورين إحياء التحدث بها خصوصًا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

العوامل التي أدت إلى اندثار اللغة القبطية[1]:

1. اللغة القبطية هي اللهجة الدارجة للغة المصرية القديمة في آخر مراحلها (الديموطيقية)، مكتوبة بحروف يونانية بعد إضافة سبعة حروف (آخر الأبجدية القبطية) تمثل الأصوات التي ليس لها مقابل في اللغة اليوناني.

2. في خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (705م) أُعلنت اللغة العربية لغة رسمية في القطر المصري بدلًا من اللغة القبطية، وعمل على نزع الكتابة من أيدي الأقباط العاملين في الدواوين الحكومية تحت رئاسة قبطي يدعي أنثاس وكان قبلها أمينًا على بيت المال (وزير المالية).

3. لما رأى الأقباط أن هذا التغير سيفقدهم وظائفهم؛ عوَّلوا على تعلُّم اللغة العربية، فظهر ما يعرف باسم السلالم (كتابة الكلمات العربية بأحرف قبطية)، وهو عكس ما هو معمول به في الخولاجي[2] مثلًا.

4. أمر الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان بتعريب الكتاب المقدس، وهي الترجمة العربية الموجودة بين أيدينا حتى الآن، وكذلك الكتب المسيحية.

5. ما لبثت اللغة القبطية أن تلقت الضربة القاسمة على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (996- 1021م) الذي

1- مصر في عهد الولاة. د. سيدة إسماعيل الكاشف. ص118 الهيئة المصرية العامة للكتاب.

2- الخولاجي: كتاب الصلوات الطقسية الخاص بالعبادة الكنسية

أصدر أوامر مشددة بإبطال استخدام اللغة القبطية تمامًا في البيوت والطرقات والمدارس، ومعاقبة كل من يستعملها بقطع لسانه، كما أمر بقطع لسان كل أم تستخدم تلك اللغة مع أولادها في المنزل، وقد كان ينزل بنفسه إلى الشوارع ويتجسس على أبواب البيوت ليرى ما إذا كان هناك أحد يستخدم اللغة القبطية.

6. كان البطريرك غبريال بن ترك (1131- 1146م) أول من صرح بقراءة الأناجيل والعظة وما إلى ذلك، باللغة العربية في الكنائس، يليها قراءتها باللغة القبطية كما هو الوضع القائم حتى اليوم.

7. ببلوغ القرن الثالث عشر، كانت اللغة السائدة هي اللغة العربية، وأخذ علماء الأقباط، مثل أولاد العسال، جرجس بن العميد، أبو شاكر بن الراهب، القس بطرس السدمنتي. ولقد كان أول من ألف كتابًا مسيحيًّا باللغة العربية هو الأسقف ساويرس بن المقفع.

8. يقول العلامة ماسيرو في محاضرة له ألقاها سنة 1908م: «من المؤكد أن سكان صعيد مصر كانوا يتكلمون ويكتبون اللغة القبطية في السنيين الأولى من القرن السادس عشر، في أوائل حكم الأتراك».

9. يقول المقريزي، المؤرخ العربي المعروف في القرن الخامس عشر: «والأغلب على نصارى هذه الأديرة معرفة القبطي الصعيدي، ونصارى الصعيد وأولادهم لا يكادون يتكلمون إلا القبطية الصعيدية».

10. وفي القرن الثامن عشر ظهرت اللغة القبطية المكتوبة بحروف عربية كما هو الحال قائم إلى الآن، لما قاربت على الزوال.

تقول د. سيدة الكاشف في كتابها «مصر في عصر الولاة»: «بدأ العرب بعد فتح مصر بأقل من نصف قرن يتجهون إلى تعريب البلاد، وإلى جعل اللغة العربية لغة رسمية؛ وذلك لعدم معرفتهم باللغة القبطية. كما تم ترجمة الإنجيل وعدة كتب دينية مسيحية أخرى إلى اللغة العربية، وذلك ليعرف المسلمون إذا كان في هذه الكتب ما يمس الدين الإسلامي بسوء. وقد ساعد التعريب على شيوع اللغة العربية وانتشارها بين الموالي والأقباط، فأصبحت اللغة العربية لغة الدواوين، كما بدأت تظهر طبقة الكتَّاب، كذلك أصبحت اللغة العربية لغة الإدارة، فضلًا عن أنها لغة الثقافة، بالإضافة إلى كونها لغة السياسة والدين».

المخطوطات القبطية تصل إلى الغرب:

اجتذبت اللغة القبطية انتباه علماء الدراسات الشرقية الغربيين واستولت على اهتمامهم، فانكبُّوا على دراستها، يحفزهم إلى ذلك تزايد مجموعات المخطوطات القبطية التي بدأت تصل إلى الغرب، يحملها الرواد الأوائل من السياح المثقفين الذين بدءوا يتوافدون على مصر بأعداد تزايدت عبر السنين.

وكان من أوائل هؤلاء واحد من النبلاء الرومان يدعى بيترو ديلا فال Pietro della Valle (1586- 1652م) عاد من مصر إلى أوروبا بمجموعة من المخطوطات القبطية، من بينها خمسة كتب للقواعد

(مقدمات) واثنان من المعاجم القبطية المعروفة بالسلالم. وخلال القرن السابع عشر كانت المكتبات الأوروبية توفد مندوبين في مهمة لاقتناء المخطوطات القبطية لحسابها، بهدف إثراء تلك المكتبات بنوادر المقتنيات، فاقتنى فانسليب (vansleb wansleben) خلال إقامته بمصر سنتي (1672- 1673م) مجموعة كبيرة من المخطوطات من بينها رقوق من دير القديس "الأنبا شنودة" المعروف بالدير الأبيض بجبل أدريبه بالقرب من سوهاج، وهي تشكل جزءًا من المجموعة القديمة من مقتنيات المكتبة الوطنية بباريس التي أثريت فيما بعد من نفس المصدر بمكتشفات جاستون ماسبيرو سنة 1883م، والإخوة السمعانيين The Assemani brother's، وهم من عائلة السريان الموارنة بسوريا الذين تخرجوا من الكلية المارونية بروما، وقد اقتنوا في العقد الأول من القرن الثامن عشر المجموعة الكبرى من المخطوطات القبطية البحيرية التي يوجد معظمها الآن في مكتبة الفاتيكان، واقتنوا أيضًا مجموعة المخطوطات السريانية الهامة التي كانت محفوظة في دير السريان بوادي النطرون بمصر.

الدارس الأوربي والمطبعة القبطية الأولى:

كان المستشرق المتخصص في الدراسات العربية توماس أوبيسيني Thomas Obicini (توماس دي نوفارا Thomaso di Novara هو أول من خطا الخطوة الأولى نحو تفهُّم اللغة القبطية، وإنتاج أول حروف طباعة قبطية في العالم، في سنة 1628م. ولكن وفاته المفاجئة في سنة 1632م عطلت نشر كتب القواعد التي كان

بيترو ديلا فال قد أحضرها إلى الغرب[3].

أول كتاب مطبوع عن اللغة القبطية في القرن السابع عشر الميلادي.

وبعد أربع سنوات، أي في سنة 1636م، أخذت الدراسات القبطية مكانها وترسخت مكانتها في الغرب عندما نشر الراهب اليسوعي العلامة أثناسيوس كيرشرAthanasius Kircher مؤلفه بعنوان: Prodromus Coptus sive Aegyptiacus, romae 1636، وفيه يقرر أن اللغة القبطية هي السلالة المباشرة للكلام في العصور الفرعونية.

كما طبع كيرشر أول أجرومية قبطية ومعجم قبطي بلسان أوروبي في روما سنة 1643-1644م بعنوان: Kircher, A., Lingua aegyptiaca restituta, romae 1643.

ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة السمنودي، ومقدمة ابن كاتب قيصر، والسلم الكبير لأبي البركات شمس الرئاسة، والسلم المقفي لأبي إسحاق بن العسال.

تظل اللغة القبطية هي الامتداد الحي للسان المصري القديم، والجسر الرابط بين مصر القديمة والحديثة، ويعود الفضل إلى الكنيسة القبطية التي احتفظت بين جدرانها بتاريخ مصر الناطق والعازف بأجمل وأعذب الألحان.

3- مصر في عهد الولاة. د. سيدة إسماعيل الكاشف. ص 210.

الفصل الثاني

الحياة اليومية والاجتماعية

استخدم الأقباط العديد من الأدوات الكتابية، والتي ما زالت محفوظة بالمتاحف القومية أو الدولية، وهي:

البردي: وكان الأكثر استعمالًا من بين المواد الأخرى. وكان قد بُدئ استخدامه في الكتابة من حوالي عام 3000 ق. م إلى ما بعد 1000 بعد الميلاد. ولأن أوراق البردي تفقد مع الوقت مرونتها؛ لذلك لم تكن جيدة لعمل الكتب أو اللفائف.

الرَّق: ويصنع من جلود الحيوانات، وهو أكثر مرونة من ورق البردي، ولا يتلف بسرعة؛ لذلك استخدم بكثرة في صناعة الكتب، وبالأخص في الكتب الدينية. ونظرًا لارتفاع أسعاره؛ فلم يستخدم في الكتابة في أمور الحياة اليومية العادية.

الأوستراكا: وهو اسم يطلق على شقف الفخار وقطع الحجر الجيري وحجر الصوان. وكانت أسعاره زهيدة، وكان يستخدم عند عدم توافر ورق البردي، فقد عثر على أوستراكا يعود تاريخها إلى القرن السابع الميلادي سجل بها خطاب جاء فيه: «أنا آسف لأني لا أملك بردية في الوقت الحالي. أوَدُّ أن أبلغك بالمستجدات في الأمور

التي كتبت لك عنها في خطابي السابق».

الورق: ظهر الورق في مصر في القرن التاسع الميلادي، وبدأ يتفوق على البردي حتى انتشر استخدامه، بينما توقف استخدام البردي.

الألواح الخشبية: وهذه استخدمت في كتابة النصوص المستديمة، مثل قطع الصلوات، والصيغ القانونية الثابتة، في مكاتب الكتبة أو مكاتب الشهر العقاري.

الألواح الشمعية: وهي عبارة عن ألواح خشبية سميكة كانت تُصَبُّ عليها طبقة من الشمع ثم يُسوَّى سطحه، ثم بقلم مصنع من الخشب أو المعدن كان يتم الكتابة عليه. وعند الاستغناء عن المكتوب فيه، يمكن تسوية الشمع من جديد ثم يعاد الكتابة عليه مرة أخرى.

الأقلام: استعمل القبطي «القلموس Kalamos» المصنوع من الغاب في الكتابة على البردي والورق والفخار والحجر الجيري وحجر الصوان. ولكن للكتابة على لوح الشمع فقد استخدم «الأستيلوس Stilus» وهو قلم مصنوع من مادة شديدة الصلابة.

في أوستراكا (قطع الفخار المكسور) يعود تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي مساحتها 10 - 16 سنتيمترًا، وردت الأسماء الآتية:

شنوتي، بتروس، كوزما، هارون، نيوسجوروس (ديسفوروس)، فيبي، نازه، قلته، بيشا، سويروس، جيراجوس (جوارجيوس أي جورج)، ستيفانوس، باولا (بولا)، ميناس (مينا)، هيلياتس.

وفي بردية يرجع تاريخها للقرن الثامن الميلادي مساحتها 5,15 · 5,20 سنتيمتر، وجدت مجموعة من أسماء عمال يعملون في

الزراعة، وهم: أباسير (المعروف حاليا أباكير)، بشتشال، كولتوس، إيلياس (أي إيليا)، فويبامون، سرفروس، باهومو، دافيد، أبوللو، أنوت، إبراهام، بامو.

هناك أيضًا بردية أخرى يعود تاريخها إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي، مساحتها 10- 17 سنتيمتر، تحوي مجموعة أخرى من الأسماء: أكو بن مكاري، باباشنوتي، كيرنس بن بيلتوس، تاخون، صامويل بن ابلو، بله، مينا بن كؤر، سيون بن أبوللو، بابا يوهانس، إيليا بن باولي، لوتسون، ناراو بن أنوب، سوستا بنت نوب، أبيولي البنا.

ويعلق د. محرم كمال في كتابه «آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية» الصادر عام 1956 على الأسماء القديمة قائلًا: "إننا نحمل أسماء قديمة جدًّا توارثناها عن أجدادنا منذ آلاف السنين".

ومن هنا فإن الحفاظ على الاسم القبطي المصري هو حفاظ على الشخصية القبطية المصرية.

وترتبط الثقافة الشعبية القبطية في أحيانٍ كثيرة منها بالديانة المسيحية في مصر، وهي ناحية مميزة لها منذ دخول المسيحية مصر حتى الآن، وفي نفس الوقت لا تنفصل أبدًا عن الثقافة الشعبية المصرية كجزء منها.

والثقافة الشعبية القبطية لا تبحث في الطقوس الدينية نفسها، أو الشعائر الدينية، بل في الطقوس الشعبية أو الاحتفالات الشعبية، أو المعارف الشعبية المصاحبة للشعائر الدينية المسيحية، وبالتالي يتدخل الطابع المصري الشعبي في طريقة التعبير بهذه المناسبات.

ففي الموالد القبطية التي تقام للاحتفال بذكرى قدِّيس معين، نرى أن الصلوات والتراتيل والألحان التي تُتلَى داخل الكنيسة نفسها من قبل الكاهن والشعب، هذا هو الجانب الديني الرسميّ، أمَّا الاحتفال الشعبي في موكب أيقونة القديس، الذي يتزاحم فيه الألوف لنَيْل البركة من الأيقونة، وتقديم النذور والأضاحي، وكتابة الرسائل، وكذلك الأنشطة التجارية والترفيهية، والمبيت حول الدير، والوشم.. كلها مظاهر شعبية على جانب الاحتفال بذكرى القديس.

ولذلك نرى أن الأنشطة الشعبية المصاحبة للاحتفال الديني الرسمي لا يختلف فيها المسيحيون عن المسلمين في الموالد القبطية والموالد الإسلامية.

وكذلك طقس المعمودية للطفل هو طقس ديني، أما مظاهر الاحتفال الشعبي من غناء وزغاريد وملابس جديدة ونحر الذبائح والأغاني الشعبية بهذه المناسبة، فهي طقوس شعبية.

أيضًا الأغاني الشعبية المصاحبة لزيارة القدس، وتوديع الزائرين واستقبالهم، ورسم الجداريات، كلها مظاهر شعبية لزيارة القدس.

وأيضًا في أحد السعف، وهو احتفال بذكرى دخول السيد المسيح أورشليم، وهو احتفال كنسي تُقام فيه الصلوات داخل الكنيسة، أما الاحتفال الشعبي بقطع سعف النخيل والاحتفال به، وعمل أشكال القلب والصليب وأشكال أخرى، فهي احتفالات شعبية، وكذلك عيد الغطاس، وهو احتفال بذكرى عماد السيد المسيح في نهر الأردن، فهو احتفال ديني أو كنسي تقام فيه الصلوات في الكنيسة، ويكون على جانبه الاحتفال الشعبي بالقصب والقلقاس واليوسفي.

وكذلك بعض الأكلات المصاحبة لبعض الأعياد، وهي ضمن

المظاهر الشعبية المصرية للاحتفالات الدينية.

وكذلك «دراما يهوذا»، فبينما تحتفل الكنيسة يوم خميس العهد بالصلوات، وتذكر يهوذا الذي خان السيد المسيح وأسلمه لليهود، كان يقام احتفال خارج الكنيسة في بعض القرى قديمًا، كما يحكيه الشيوخ والعجائز، وذلك بأن تُحضِر الجماعة الشعبية القبطية شخصًا تُلبسه ملابس قديمة ممزقة وتدعوه يهوذا، وتزفُّه وتلعنه وتضربه بالحصَى في صورة تمثيلية، وهكذا في بعض الأماكن كانت الجماعة الشعبية تحتفل على طريقتها بهذه المناسبة.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة توضح وتفرق بين الديانة المسيحية والثقافة الشعبية القبطية؛ لذا فإن الثقافة الشعبية القبطية هي ثقافة لكل المصريين.

الثقافة الشعبية القبطية هي ثقافة شعبية مصرية، وهي لا تعني ثقافة دينية أو ثقافة مسيحية، بل هي ثقافة شعبية لكل المصريين، جزء مهم من تاريخهم وحياتهم اليومية، فكلٌّ منَّا يحمل في تكوين ثقافته حضارات متراكمة من عصور سالفة وحاضرة، من العصر الفرعوني والقبطي والإسلامي، أثرت في تفكيرنا ووعينا.

وعن العصر القبطي، فإن كثيرًا من المؤرخين يربطون العصر القبطي مع نشأة اللغة القبطية، عندئذٍ ستكون نقطة البداية للحقبة القبطية في موقعٍ ما من القرن الأول أو الثاني بعد الميلاد، والبعض الآخر يؤكد على أن نقطة البداية مع دخول المسيحية، وبالتالي أمكن ربطه مع بداية التقويم الميلادي، من منطلق أن العصر القبطي هو تعبير عن الحقبة المسيحية، التي دخلت مصر في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي.

وقد يراه كثرة من المؤرخين أنه يبدأ بعام 284م، وهو العام الذي بدأ فيه أقباط مصر تقويمهم القبطي المسمى تقويم الشهداء؛ لارتباطه بأحداث الاستشهاد في عهد دقلديانوس.

ففي تلك الحقبة كانت مصر قد أخذت معلمًا وشكلًا حضاريًا جديدًا، فاللغة قد تغيرت وصارت بالفعل لغتها قبطية، والديانة قد تغيرت وصارت ديانتها مسيحية، وكان لكل ذلك انعكاساته على كافة ألوان الحياة الفكرية والثقافية والحضارية والفنية، وأصبحت مصر موطنًا لحضارة من نوع جديد[4].

وترتبط الثقافة الشعبية القبطية في أحيانٍ كثيرة منها بالديانة المسيحية في مصر، وهي ناحية مميزة لها منذ دخول المسيحية مصر، حتى الآن، وفي نفس الوقت لا تنفصل أبدًا عن الثقافة الشعبية المصرية كجزء منها.

وما يؤيد ذلك، التقويم القبطي للشهور القبطية الذي ما زال فلاحونا يستخدمونه في مواعيد الزراعة والحصاد والدورة الزراعية وأوقات البرد والحرّ والرياح، مثل (توت- بابه- هاتور- كيهك- طوبة- أمشير).

وكذلك الأمثلة الشعبية المرتبطة بهذه الشهور: (بابه، ادخل واقفل البوابة)، (كياك، صباحك مساك)، (طوبة تخلي الصبية كركوبة)، (برمهات، اطلع الغيط وهات)، (أمشير أبو الزعابير الكتير).

بالإضافة إلى الألفاظ القبطية التي تجرى على ألسنتنا دون أن ندري أنها قبطية مثل: وهناك أكثر من 5000 كلمة في العامية المصرية

4- د. أحمد على مرسي، مقدمة في الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الحديثة أصلها فرعوني أو قبطي، مثل: إمبو (يشرب)، مم (أكل)، تاتا (يمشي)، واوا (وجع)، نونو وننوس (ولد صغير)، أيقونة (صورة)، بامية (نوع من الخضر)، بتاو (خبز)، بح (خلاص)، بخ (عفريت أو شيء مخيف)، بشبش (مبلول بالماء)، بكَّاش (كثير الكلام)، بصارة (أكلة)، عيِّل من (أيل) بمعنى ولد صغير، ياما بمعنى: ما أكثر، عصلج (أي لم يتحرك)، مركب من حرف النفي (عص) بمعنى بغير، و(لج) بمعنى حركة، آه، آخ للتوجُّع، شوبش يقال للعروس، أي: سعة العيش للعروسين، مونولوج (بمعنى كلام واحد)، ديالوج (محاورة بين اثنين)، يرمح (يجري)، فول مدمس): (أي الفول المدفون)، يس (تقال للحصان كي يقف)، إف (للاشمئزاز والتأفف) إش (أي شيء جميل)، كيك (أي كعك)، لافيني (أي أعطني)، نيلة (بمعنى: طين أو وحل)، وهناك أسماء كثيرة مثل: بلح، برسيم، شونة، إردب، نبوت، شبورة، سوسن (زهرة)، أبنوس... إلخ.

كما أن أسماء الحروف الهجائية مأخوذة من الحروف المصرية القبطية: ألفا فيتا (أي ألف باء).

واللغة القبطية هي لغة مصرية وليست لغة مسيحية، بل يرجع الفضل للكنيسة القبطية في المحافظة عليها حتى الآن، إذ تُتْلَى بها بعض القراءات والصلوات.

الثقافة الشعبية القبطية ودورة الحياة:

يُقسّم د. محمد الجوهري فروع الفولكلور إلى أربعة أقسام رئيسية وهي:

الميلاد:

فبداية من ميلاد الطفل، وفي اليوم السابع، يبدأ الاحتفال بسبوع المولود، حيث تفرح الأسرة ويجتمع الأهل والأقارب والجيران للمشاركة والتهنئة، ويتم استدعاء الكاهن (رمز الكنيسة أو الرمز الديني) ليقوم (بصلاة الحميم) للطفل، ويتلو الجميع الصلوات والشكر للرب على هذه العطية.

العماد:

وحينما يُكْمِل المولود (الذكر) أربعين يومًا، و(البنت) ثمانين يومًا، تحمله أمه إلى الكنيسة في صحبة الأهل والأصدقاء، ويرتسم على وجوههم الفرح؛ لأن وليدهم سوف يصير مسيحيًّا بنوال العماد، وقد يصاحب ذلك أخذ ضحية معهم (خروف) كنذر لتوزيعه للأهل والفقراء، ويُعمِّد الكاهن الطفل بتغطيسه في الماء ثلاث مرات ورشمه بالزيت المقدس في كل أجزاء جسمه، وفي نهاية القداس يُزف الطفل المعمَّد وسط الكنيسة على الألحان ودقات الناقوس، وتعني هذه الزفة أن الطفل قد صار مسيحيًّا، ويسرع كل الحاضرين بتهنئة والدي الطفل، وبعد ذلك يتم إعداد فرح ويوزع الطعام على كل الحاضرين.

الختان:

تقيم الأسرة، وخاصة في القرية، فرحًا، وتعد وليمة لختان طفلها الذكر وتدعو أهل القرية كلها للاشتراك والاحتفال بهذه المناسبة؛ لأن الأسرة تعتبر طفلها بالختان قد أصبح رجلًا، وتدعو الكاهن ومرتل الكنيسة لإقامة الصلوات والألحان، وتصور الأغنية الشعبية فرح الأسرة بهذا الطفل الذي ترك مرحلة الطفولة وبدأ يفهم ويدرك.

الزفاف:

ويسمي الأقباط حفل إتمام طقس الزواج بالإكليل؛ لأن الكاهن يتوِّج رأس العروسين أثناء الصلاة بإكليلين، دلالة على النعمة المقدسة التي توَّجت حياتهما برابطة الزواج، وتعتبر حفلات الزواج فرصة مواتية تعبر فيها العائلة عن مشاعر الفرح والابتهاج بمظاهر مختلفة، أولها تقديم الشكر لله بمحاولة إشراك الفقراء والجيران من أهل المنطقة المجاورة في مشاعر الفرح، وذلك بتوزيع الكساء وما طاب من مأكل وحلوى عليهم. أما العائلات الثرية فتنحر الذبائح وتستمر احتفالاتها عدة أيام.

الليلة السابقة على العرس تسمى "ليلة الحناء"، وتقام وليمتها في بيت العروس لتوديعها، وفيها يصبغ العروس وأهل البيت أكُفَّهم وأرجلهم بالصبغة الحمراء التي تتركها عجينة أوراق الحناء على الجلد، ثم ليلة العرس في بيت العريس، والصباحية حيث يستقبل الزوجان هدايا العائلة والأصدقاء.

الميمر:

وتعنى كلمة الميمر (سيرة)، ويعتبر الميمر من العادات العائلية

القديمة، وخاصة في صعيد مصر، وهو بمثابة احتفالية قبطية صميمة .ويبدأ الميمر عادة بأن ينذر أحد الأفراد نذرًا لأحد القديسين، إن وفَّقه الرب في أمرٍ ما، أو شفاء مريض أو قضاء مصلحة أو زواج، أن يعمل ميمر للقديس، وعند قضاء الأمر، تبدأ الأسرة في إقامة الميمر، حيث تدعو الأهل والأقارب وأفراد القرية كلها، وتقوم بإعداد وليمة الطعام كلٌّ حسب مقدرته، وتدعو كاهن القرية ومعلم الكنيسة لإقامة مراسم الميمر. تبدأ الأسرة في إعداد طبق دائري كبير (صينية) مملوء بالقمح، ويوضع فوقه عدد معين من أرغفة العيش الشمسي، ثلاثة أو خمسة أو سبعة، وتغرس فيها الشموع، مع كوب ماء، ويرفع الكاهن الصلاة ثم يقرأ أحد الحاضرين قصة حياة القديس، مثل القديس مار جرجس وبعض معجزاته.

الحج المسيحي:

تعد زيارة القدس لدى الشخصية القبطية من أهم الأمنيات والأحلام، بل هي آخر أمنية في الحياة. وتُعبِّر أغاني القدس (الحج المسيحي) عن حالة الفرح التي يكون بها المقدِّس عند زيارته للقدس.

الوفاة:

هي آخر مرحلة من دورة الحياة، أو هي آخر مرحلة من طقوس العبور، وتتفاعل الأغنية الشعبية مع هذه المناسبة لتعبر عن حالة الحزن، وتصوغ حكمتها لترثي أصحابها الذين هم أفراد الجماعة الشعبية وتغنِّى بلحن حزين.

الفصل الثالث

الثقافة والأدب

ثم تبلورت شخصية جديدة للحضارة المصرية الإغريقية المسيحية تعرف بالحضارة القبطية، وهي حضارة لها معالمها وفنونها الخاصة. لقد ازدهرت كنيسة الإسكندرية، وقامت في هذه المدينة مدارس لاهوتية أثرت تأثيرًا كبيرًا في الفكر اللاهوتي المسيحي، ووضع أساقفة الكنيسة السكندرية قانون الإيمان، وقاوموا البدع والخرافات. أصبحت الكنيسة المرقسية بالإسكندرية المركز الكنسي الخامس في العالم مع أنطاكية، والقسطنطينية، وبيت المقدس، وروما.

تأثر الأدب القبطي بتأثيرات يونانية، وخاصة في الإسكندرية، التي انتشرت فيها الثقافة الهيلينية، حتى اضطر كثير من الآباء إلى الكتابة باللغة اليونانية المنتشرة في العالم وقتذاك، وترجمت كتاباتهم إلى القبطية.

ومن أمثلة الأدب القبطي الصميم كتابات الأنبا أنطونيوس، والأنبا باخوميوس، اللذين لم يعرفا غير القبطية، وخطب ومواعظ الأنبا شنودة الذي لم يشأ أن يكتب بغير القبطية. وقد كان الأنبا شنودة زعيمًا شعبيًا، يكلم الأقباط المضطهدين على يد حكامهم بلغتهم

القبطية لا باللغة اليونانية لغة الحكام.

وهذا الأدب القبطي الصميم كان له مركزان، هما وادي النطرون للهجة البحيرية، والدير الأبيض والأديرة الباخومية بالصعيد للهجة الصعيدية. وهكذا نرى أن أديرة الرهبان كانت معاقل للأدب القبطي الصميم بلهجتيه الأساسيتين.

وفي بعض المخطوطات القبطية سميت اللغة القبطية لغة أهل الجبال. ولعل المقصود بذلك الصعيد؛ لارتفاعه، وأديرة الرهبان لوجودها في الجبال. وقد تولى الأنبا شنودة رئاسة الدير الأبيض سنة ثلاثمائة وثلاثة وثمانين ميلادية، وقد أضحى ذلك الدير مركزًا للأدب الصعيدي، وفيه أصبحت اللهجة الصعيدية هي اللغة الأدبية للكنيسة القبطية في عصرها الذهبي.

وأمام هذه النهضة الأدبية التي تزعمها الأنبا شنودة أخذت اليونانية تتقهقر وتتراجع بمقدار النمو المطرد الذي انتشرت به المسيحية بين الريفيين، وبعدول الناس إلى استخدام اللغة القبطية كلغة أدبية، وبازدياد عدد الأقباط وشعورهم بكيانهم وقوميتهم.

ومع دخول العرب مصر، كانت اللهجة الصعيدية هي لغة الأدب القبطي عامة. وكل نهوض بعد ذلك للهجة البحيرية كان على أساس ترجمة الآداب الصعيدية، التي أصبحت ظاهرة في القرون الستة الأولى للمسيحية.

تعتبر ترجمة الكتاب المقدس أهم إنتاج أدبي لأقباط مصر، وقد أخذت هذه الترجمة عن اليونانية منذ القرن الثاني الميلادي، وتعتبر من أدق الترجمات؛ لأن الأشخاص الذين قاموا بها كانوا مُلِمِّين إلمامًا تامًّا باللغتين القبطية واليونانية.

وقد كانت الحماسة الدينية بالغة، حتى إنه لم يحلّ القرن الرابع أو الخامس الميلادي حتى كان الكتاب كله مترجمًا إلى اللهجتين البحيرية والصعيدية، وبعض أجزاء منه إلى اللهجتين الأخميمية والفيومية. كما كانت سير القديسين أيضًا تُعَدّ بمثابة نصوص دينية هامة، وهي كثيرة جدًّا، وتزخر بوصف حياة وجهاد الشهداء والرهبان والمتوحدين والنساك وبعض الآباء البطاركة والأساقفة. ولم تكن هذه السير مجرد تاريخ جاف، وإنما كانت موضوعة في أسلوب أدبي عميق بالغ الأثر، حتى كان من نتائجها إقبال كثيرين على الرهبنة وعلى السير في الحياة الفضلى.

وهي في الواقع تجسيم لفضائل معينة يمثلها هؤلاء القديسون الذين كتبت سيرهم مع لون من الإيحاء في الكتابة.

وبعض القصص الدينية فيها خيال وتصوير، مثل قصة ملكة سبأ ومقابلتها لسليمان الحكيم، أو قصة الملك يوحنا ورئيس الدير.

والبعض وطني نفَّس به الأقباط عن شعورهم القومي الذي ظل مكبوتًا فترات طويلة تحت نير المستعمر. ومن أمثلتها رواية الإسكندر الأكبر.

لم يصل إلينا شعر كتبه الأقباط في الأغراض الدنيوية المختلفة، إذ كان النسك السائد في تلك العصور الأولى للمسيحية يحول دون ذلك، فقد اتجهوا في المدح إلى الملائكة والعذراء مريم والأنبياء والقديسين والشهداء، في نَظْم يُعرف باسم الذكصولوجيات، وهي كلمة معناها «تمجيد». وقد جمع «ديلاسي أوليري» الكثير منها سنة 1924 في كتابه المسمى Coptic Hymns. أما مدح العذراء مريم فلكثرته اختص به تقريبًا باب أسماه الثيئودوكيات.

الأشعار والأبصاليات القبطية:

وقد نشر «أوليرى» سنة 1923م كتابه المسمى The Coptic Theotokia جمع فيه الكثير من المقطوعات الشعرية القبطية التي عثر عليها في دير القديس مقاريوس والمكتبة الأهلية بباريس والمتحف البريطاني بلندن. كما ذكر أن هذا النوع من النظم كان مستحبًا لدى الشعراء الأقباط، حيث وجدوا فيه الفرصة لإظهار مواهبهم.

كما ذكر "أليكسس مالون" أن هذه الثيئودوكيات لها مكانة عظمى في الآداب القبطية. وقد كان القصص من بين الأغراض التي طرقها الشعراء الأقباط أيضًا، ومن أشهر القصص الشعرية قصة أرشيليديس الراهب، الذي رفض مقابلة أمه وفاءً بنذرٍ قطعه على نفسه ألّا يرى امرأة. وهي قصيدة طويلة جدًا على شكل حوار تظهر فيه براعة التمثيل وقوة التأثر، والقصيدة تمس ناحية حساسة من المشاعر الإنسانية.

ثم هناك الأشعار الكنسية، وهي صلوات أو تأملات مأخوذة من المزامير أو الإنجيل وتسمى أبصاليات (وهي مأخوذة من الكلمة القبطية بصالموسى بمعنى مزمور) والبعض الآخر تسمى الهوسات (وهي مأخوذة من الكلمة القبطية هوس بمعنى تسبيح).

وقد اختصوا كل يوم بتسبيحة خاصة منظومة وملحنة بلحن خاص، وتوجد غالبية هذه القطع الشعرية في كتابين هما الأبصلمودية السنوية والأبصلمودية الكيهكية.

ومن أشهر الكتب التي كان لها أثر بالغ في هذا المضمار

كتاب "حياة أنطونيوس" الذي وضعه الأنبا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية، بناء على إلحاح أهل روما. وقد أشعل هذا الكتاب روح الرهبنة والنسك في بلاد الغرب.

ويكفي أن قراءته كانت نقطة التحول في حياة القديس أوغسطينوس الذي تأثر به جدًّا، كما يذكر في اعترافاته، حتى ترك حياته القديمة، ولم يصبح مسيحيًّا فحسب، بل أحد مشاهير رجال المسيحية.

ولم تقتصر شهرة أقوال الآباء على عصورهم، بل لا تزال لها قيمتها وشهرتها في الأدب المسيحي حتى يومنا هذا. وقد تحمس أهل الغرب للتوسع في دراستها وترجمتها إلى لغاتهم ونشرها.

لم تكن كل كتابات الأقباط بالقبطية، وإنما كتب جزء وافر منها باليونانية؛ ولهذا كان للأقباط فضل على الأدب اليوناني، إذ أضافوا إليه ذخيرة جديدة من المعلومات الإنسانية. غير أن الأقباط، وبخاصة الرهبان، عادوا فترجموا إلى القبطية كتابات آبائهم التي كتبت باليونانية.

لم يكن آباء الرهبنة كتابًا، وإنما اهتموا بممارسة الفضائل عمليًّا، وبما يلقونه على تلاميذهم من تعاليم. هؤلاء كانوا هم أنفسهم موضوعًا للعديد من السير، وإليهم كان يأتي كبار كتّاب المسيحية في العالم ليتسقطوا أخبارهم ويجمعوا كلماتهم القليلة.

هكذا في سنة 388م، جاء إلى مصر بلاديوس أسقف هيلينوبوليس (تركيا حاليًّا)، ومكث سنة بين رهبان الصعيد، ثم رجع إليها سنة 406م، وقضى حوالي سبع سنوات مع رهبان وادي النطرون، وكتب كتابه الذي اصطُلح على تسميته فيما بعد "بستان الرهبان". وكذلك

جاء القديس يوحنا كاسيان لزيارة وادي النطرون ما بين سنتي 390- 400، وضمَّن كتابيه "المعاهد" و"المقابلات" أخبارًا كثيرة عن الرهبان المصريين ومقتطفات من أقوالهم.

كما زار مصر لنفس الغرض سنة 386م القديس "جيروم" ومعه تلميذته "باولا". ووضع كتابًا عن القديس المصري الأنبا "بولا" المتوحد، وآخر عن الرهبان المصريين ضمَّنه أقوالهم وأخبارهم. ورجع فأسس، على ضوء ما سمعه ورآه، ديرين في بيت لحم بفلسطين أحدهما للرهبان والآخر للراهبات.

كتب آباء الكنيسة القبطية في نواحٍ كثيرة أهمها فرعان رئيسيان هما: اللاهوت والنسكيات.

وقد كان أساتذة الإسكندرية وبطاركتها هم عمد اللاهوت في العالم المسيحي كله؛ لذلك كانت لكتاباتهم أهمية كبيرة وشهرة عالمية.

وقد كان موقف الزعامة الفكرية الذي وقفه القديس أثناسيوس في مجمع نيقية سنة 325م، باعثًا على ذيوع كتاباته في اللاهوت وتوضيحاته لطبيعة الإيمان المسيحي، وأصبحت كتاباته المصادر الأولى لعلم اللاهوت المسيحي، حتى اعتبر أثناسيوس أبًا لعلم اللاهوت في المسيحية.

وانتشرت مؤلفاته التي وضعها مثل "تسجد الكلمة" و"الرد على الأريوسيين" و"الروح القدس" انتشارًا واسعًا. وعليها بنى باقي مشاهير اللاهوتيين أفكارهم، حتى أصبح القول الشائع بين الغربيين في تلك العصور هو: "إذا وجدت عبارة من أقوال أثناسيوس ولم تجد ورقة لتكتبها، فاكتبها على قميصك في الحال"، وكما نعرف

أنه عندما ذاع صيت القديس "إيلارى" أسقف بواتييه بفرنسا لقبوه "أثناسيوس الغرب".

وكانت تلك الشهرة التي حظي بها آباء الأقباط في اللاهوت، تقابلها شهرة لا تقل عنها في آداب الرهبنة.

ولعل أبرز أمثلتها قوانين القديس باخوميوس وما نالته من شهرة، حتى لقد نقلها إلى روما القديس أثناسيوس إبان نفيه عن كرسيه.

كما ترجم القديس جيروم حياة باخوميوس وقوانينه إلى اللاتينية سنة 404م، لفائدة رهبان إيطاليا. ووصلت إلى بلاد الغال في أوائل القرن الخامس عن طريق القديس يوحنا كاسيان الذي عمل على تطبيقها عمليًّا في الدير الذي أسسه في مارسيليا.

ووضع القديس أوغسطينوس نظامه الرهباني مسترشدًا بقوانين باخوميوس، وكذلك فعل القديس باسيليوس الكبير مؤسس الرهبنة اليونانية. كما اشتملت أقوال الآباء الأقباط على فروع كثيرة، منها الأقوال الكنسية التي كتبها آباء الرهبنة، الذين عرفوا أيضًا بآباء الصحراء، أو سُمِعت عنهم فسُجلت. وكلها تحضُّ على النُّسك والتجرد من الأمور الدنيوية، وعلى الترويض على الفضيلة وتنقية النفس. ومن أمثلتها الرسائل العشرون التي أرسلها القديس أنطونيوس إلى تلاميذه، والأنظمة التي وضعها القديس باخوميوس لتنظيم حياة الرهبان، وما خلَّفه القديس يوحنا التبايسي من ميامر (مواعظ) عميقة في الحياة الروحية.

وكذلك تشمل المواعظ والخطب الدينية التي كانت تلقى في أيام الآحاد أو الأعياد الدينية أو بعض المناسبات الأخرى، ومن أشهرها خطب الأنبا شنودة أثناء كفاحه ضد الوثنية وفي نشره لتعاليم

المسيحية. ومن الجدير بالذكر أنه على الرغم من أن الآباء كانوا قلَّما يكتبون، اكتفاء بتحقيق الهدف العملي وهو التسامي في ممارسة الفضيلة، إلا أن ما وصلنا منهم كثير في قدره وفي قيمته.

ويرجع الازدهار الأدبي والثقافي عند الأقباط إلى ذلك الانسجام والزخم الذي كانت تعيشه مصر في تلك المرحلة، وبالأخص مدينة الإسكندرية درة الشرق ومركز حضارة العالم الثقافي في تلك المرحلة، فكانت ملتقى للفلاسفة وطلاب العلم والمعرفة؛ لما كانت تحويه من سيرة حسنة وتعدد لا نظير له للأجناس.

إن إهدار الثقافة القبطية يعني ضرب الثقافة المصرية!

الفصل الرابع

الفن

يرى المفكر الكبير ثروت عكاشة في موسوعته حول الفن المصري القديم، أن الفن القبطي عاش طوال عصوره التاريخية ثابت الأصول، يستوحي من البيئة المصرية, والفن القبطي، باعتباره فرعًا من هذا الفن المصري عاش هو الآخر فنًا أصيلًا يستمد أسسه من الفن المصري القديم وليس كما يدعي البعض فنًا مجهول الأصل، وأن من الدلائل علي أصالته مغزى الأمومة المثل في صورة مريم وطفلها، التي تُذكّرنا بصورة إيزيس وهي تحمل طفلها «حور», كذلك صورة القديس مار جرجس الذي يقاتل التنين من فوق صهوة جواده تضاهي صورة الإله حور وهو يرشق سهمه في جسد فرس النهر. كما نجد صور بعض آلهة الفراعنة كأنوبيس على اللوحات القبطية.

وهكذا يمكننا القول إن الفن القبطي هو الوريث الشرعي للفن الفرعوني، حتى تراتيل الكنيسة القبطية سنجدها امتدادًا للموسيقي المصرية القديمة.

كما تذكر نعمت إسماعيل علام أن الفن القبطي هو الفن الأول في الشرق الأوسط الذي كان من إنتاج الشعب ولم توجهه الدولة. ولقد أنتجه مسيحيو مصر منذ الفترة التي اعترفت فيها الدولة بالكنيسة

عام 313م، واستمر لفترة بعد الفتح العربي.

وقد اهتمت المتاحف الكبرى في العالم بعرض نماذج الفن القبطي، منها متحف اللوفر بباريس، ومتحف برلين بألمانيا، ومتحف المتروبوليتان بالولايات المتحدة، ومتحف لندن بالمملكة المتحدة، والمتحف الملكي ببلچيكا.

كما اهتمت بعض جامعات العالم بإنشاء أقسام متخصصة لدراسة هذا الفن، مثل قسم تاريخ الفن القبطي بجامعة «ليدن» بهولندا، وقسم الدراسات القبطية بجامعة مونستر بألمانيا الذي أسسه الأستاذ الدكتور كراوزا، وقسم الفن القبطي بجامعة وارسو ببولندا الذي يرأسه الأستاذ الدكتور جودلفسكي، وقسم آخر بجامعة بباريس.

وهنا نذكر بكل تقدير العالم الفرنسي الدكتور بير دى بورجيه رئيس القسم القبطي بمتحف اللوفر بباريس، الذي أصدر عدة مؤلفات عن الفن القبطي، منها مجلد ضخم يختص بالنسيج القبطي فقط، يحتوي على أكثر من 700 صفحة من القطع الكبير، ويعتبر أكبر دراسة متخصصة عن النسيج القبطي. ومن شدة اهتمامه بدراسة هذا النوع من الفن – كما يذكر الأب يوساب السرياني- قام بصنع نول نسيج يدوي ليعمل عليه بنفسه حتى يستطيع أن يقف بنفسه على مختلف الطرق الفنية التي كان يستخدمها الأقباط منذ القرون الأولى.

وقبل أن نتعرض لدراسة هذا الفن فإنه يجب الإشارة إلى بعض أسماء المصريين الذين ساهموا – في القرن العشرين- بجهد واضح في هذا المجال، ومنهم: مرقس باشا سميكة (مؤسس المتحف القبطي بالقاهرة)، د. سعاد ماهر محمد (في النسيج القبطي)،

الدكتور أحمد فخري (في الآثار)، الدكتور باهور لبيب (في الآثار)، الدكتور حشمت مسيحة (في الآثار)، الدكتور لبيب حبشي (في الآثار).

تجلَّى تفوق الأقباط في فن النجارة، في درايتهم الكاملة بالأنواع المختلفة للأخشاب. فلم يتوقف استخدامهم على الأنواع المحلية - كما كان الحال عند قدماء المصريين- مثل خشب الجميز والنبق والسنط والنخيل، بل لجئوا إلى استيراد أجود الأنواع من الخارج، مثل خشب الأبنوس من إثيوبيا وجنوب السودان، والأرز من لبنان وسوريا، والساج من الهند، بالإضافة إلى خشب الجوز والبندق والبلوط من أوروبا وغرب آسيا وغيرها.

ففي بادئ الأمر عند استخدامهم للأخشاب المحلية، فإنهم كانوا يشقونها ألواحًا ويسكبون عليها المياه، ثم يتركونها معرضة للشمس مدة كافية حتى تجف، وحتى لا تلتوي بعد صنعها تبعًا لتغير حرارة الجو، ومنها ما كانت رائحته ذكية تساعد على منع الحشرات التي تفتك بها سريعًا.

وعندما استوردوا الأصناف الأخرى من الخارج نشأت لديهم طريقة تطعيم الخشب، فيصنعون البرواز الخارجي من الخشب العادي، ثم يزينون سطحه بحشوات منقوشة من أنواع أخرى فيزداد رونقها وبهاؤها.

وكان أعز أنواع الأخشاب عند الأقباط خشب الزيتون، الذي ورد ذكره كثيرًا في الكتاب المقدس، فكانوا يصنعون منه - وحتى الآن- الأختام المستخدمة في ختم الخبز المقدس الذي يستخدم في الصلوات الكنسية، وكذلك خشب الجميز، إذ يُعتقد أنها شجرة مقدسة؛ لكونها

تعيش أجيالًا عديدة بدون ري بالماء، حتى إن المصريين القدماء كانوا يكثرون من زراعتها بجانب المقابر والمعابد، وصنعوا منها توابيت الموتى.

استمر تزيين الخشب ونقشه برسم صور دينية ومناظر من حياتهم وأعمالهم إلى حوالي القرن العاشر الميلادي في عصر الفاطميين، عندما تبدلت هذه الصور بأشكال هندسية ونباتية تتخللها صور الطيور والحيوانات.

وأهم ما يستلفت النظر في صناعة الأبواب الدقيقة والحواجز الخشبية بالكنائس، والتي يطلق عليها اسم حامل الأيقونات، أنها تتكون من عدة قطع صغيرة من الخشب المخروط أو المنقوش. وتتجلى روعة تلك الصناعة في أنه يمكن تجميع أجزائها بعضها إلى بعض دون استعمال المسامير أو الغراء في تثبيتها، وأن بين كل حشوة وأخرى تُركت مسافة كافية، مراعاة لما قد يحدث في الأخشاب عادة من تمدد أو انكماش تبعًا لاختلاف فصول السنة، فيتسنى لها بذلك أن تتكيف حسب اختلاف درجات الحرارة طوال العام.

كان الحفر والزخرفة يتطلبان استخدام الأنواع الجيدة من الخشب، وكانت مصر تستوردها من الخارج، ومن ثَمَّ فإنها كانت عالية التكلفة، فلم يتم استخدامها إلا في الكنائس وقصور الحكام والأمراء.

وكان الفنان القبطي يميل إلى الزخرفة، أو الرسم الزخرفي، ولهذا جاء الفن القبطي متنوعًا في موضوعاته. استخدم الفنان الخشب كمادة فنية، فقام بحفر أشكال زخرفية متشابكة من نبات العنب أو الرمان، كما نجد مناظر الحيوانات المصرية الأليفة كالأرانب والطيور.

كما كان الخشب يستخدم في صنع حجاب الكنيسة، حيث يكون هيكلها مفصولًا عن القاعة بهذا الحجاب الذي غالبًا ما يكون مصنوعًا من الخشب المعشق أو المنقوش بأشكال هندسية مختلفة، ومحلّى بصور القديسين وأشكال مختلفة للصليب، ومطعّم برقائق من العاج.

وإذا نظرنا إلى الأيقونات القبطية التي تزين الكنائس والأديرة الأثرية، لاكتشفنا إلى أي مدى انتقلت ملامح الفن الفرعوني إلي الفن القبطي. ففي تلك اللوحات التي رسم فيها الفنان ملامح القديسين والشهداء، سنجد الكثير من زخارف الفن المصري القديم، كاستخدام علامة "عنخ" أو مفتاح الحياة، التي كانت بداية رسم الصليب. والسمكة التي كانت رمز الخصوبة عند المصري القديم نسبة إلى السمكة التي لقمت العضو الذكري لأوزوريس. وبعد الفتح العربي حدث تبادل بين الفنان المسلم ونظيره القبطي في الفنون، فدخلت على الأيقونة الكتابة العربية مثل "عوض يا رب عبدك". ونقل الفنان القبطي إلى الأيقونة بعض الزخارف الإسلامية مثل شجرة السرو، وهي وحدة زخرفية ظهرت في الفن العثماني.

كما رسم الفنان القبطي بعض القديسين وهم يرتدون العمامة. ويبقي أن نقول إن اللغة القبطية حفظت لنا الكثير من ملامح التراث المصري القديم.

إننا إذن أمام سباحة عميقة في الوجدان المصري الممتد في أعماق التاريخ متعدد الحضارات، ففي التعددية وتنوع الحضارات، يكون الثراء ومكمن القوة الذي اكتشفه وتعايش معه المصري القديم!

الفصل الخامس

الموسيقى

تعتبر الموسيقي وأيضًا الرسم من أقدم الوسائل كلغة للعبادة، يقودان الإنسان إلى جو سماوي ويسندانه في تبعيته لله. وقد ورث الأقباط عن أسلافهم الفراعنة أقدم تقليد للموسيقي.

يقول الدكتور راغب مفتاح، وهو قبطي ثري كرس حياته وممتلكاته لتسجيل الموسيقي القبطية: «يؤكد البحث العلمي أن موسيقى الكنيسة القبطية هي أقدم موسيقي كنسية موجودة، وهي تشكِّل أقدم مدرسة موسيقى في العالم حاليًّا، لقد حفظت الكنيسة القبطية ميراثًا أثريًّا لا يقدر بثمن من جهة الموسيقي الكنسية، وذلك بحكم طبيعتها المحافظة التي ورثتها عن العصور القديمة.

يقول عالم الموسيقي الإنجليزي، إرنست نيولاند سميث، بجامعات أكسفورد ولندن، الذي قضي فترات الشتاء في مصر (ما بين سنتي 1927، 1936) بناء على دعوة من الدكتور مفتاح، لكي يضع الموسيقي في نوتة: «الموسيقي القبطية موسيقي عظيمة، يمكن القول إنها إحدى عجائب العالم السبع، والحق لو أن «كورس» مملوء بروح الله يترنم ببعض النغم القبطي في ملحمة

دينية عظيمة لكان ذلك كافيًا أن يلهب العالم المسيحي روحانية».

هذه الموسيقي التي ترجع إلى قرون بعيدة في تاريخ الكنيسة القبطية، هي جسر بين الشرق والغرب، إذ تضع أسلوبًا جديدًا في أيدي الموسيقيين الغربيين. إنها فن رفيع، لطيف، وعظيم، خاصة من جهة عنصر اللانهائية الذي نفتقر إليه اليوم.

تعود جذور الموسيقى القبطية إلى التراث المصري القديم، أو بمعنى أكثر شمولية مثلت الوريث للموسيقى الفرعونية القديمة، وأكد ذلك الفيلسوف السكندري اليهودي «فيلون»، الذي عاش في القرن الأول الميلادي فقال: «إن الجماعة الأولى من المسيحيين المصريين اقتبست ألحانًا لعبادتها الجديدة من الأنغام المصرية القديمة، ويوضح ذلك لنا كيف انبثقت الموسيقى الكنسية المصرية من الفن الموسيقى المصري القديم، وسواء أخذوا منها كما هي أو أخذوها منها وأضفوا عليها عمقًا روحيًّا أو لم يأخذوا، فعند بدء المسيحية كان اللحن القبطي مصريًّا لحمًا ودمًا»، ويذكر عالم المصريات الفرنسي الشهير «إيتين دريتون» آخر مدير أجنبي لمصلحة الآثار المصرية قبل أن يتولاها المصريون، أن «مفتاح سر الموسيقى الفرعونية يوجد في طابع أداء الموسيقى القبطية الكنسية المستخدمة في أيامنا هذه».

وبعض الألحان الشائعة إلى الآن في الكنيسة المصرية، لا تزال تحمل أسماء بلاد قد اندثرت منذ عهد بعيد، ونذكر على سبيل المثال اللحن «السنجاري» نسبة إلى بلدة سنجار، التي تقع شمالي محافظة «الغربية»، والتي عرفت منذ أيام «رمسيس الثاني»، وكانت تحوطها الأديرة في العصر القبطي، وكذلك اللحن

«الأتريبي» نسبة إلى أتريب القديمة، بالقرب من الديرين الأحمر والأبيض بمنطقة «أخميم». كما أن الموسيقى القبطية في الكنيسة هي بعينها الموسيقى المصرية القديمة.

احتفظ الأقباط بالأنغام في توقيع الكلمات والمعاني المسيحية، لكن الموسيقى ذاتها فرعونية؛ ولذلك تعد الألحان القبطية المستخدمة في الكنيسة القبطية أقدم تراث موسيقي مصري شرقي، ومما هو جدير بالذكر أن لحن جولجوثا Golgotha الذي يرتِّله رجال الدين المسيحي في يوم الجمعة العظيمة بعد صلاة الساعة الثانية عشرة، وهم يدفنون صورة السيد المسيح المصلوب، كوسيلة إيضاح لدفن جسد المسيح بعد موته، هو بعينه اللحن الذي كان يستخدمه الكهنة الجنائزيون في "مصر القديمة" أثناء تحنيط الجثة ودفنها من حيث الموسيقى لا من حيث الكلمات. كما أن لحن "بيكثرونوس" ومعناه "عرشك يا الله"، الذي ترتله الكنيسة في يوم الجمعة العظيمة، هو بعينه نفس اللحن الذي كان يُزَفُّ به الفرعون عند موته، حيث كان ينزل من القبر إلى مركب الشمس ليدور مع الشمس في الخلود والحياة الأبدية.

ففي عصور ما قبل التاريخ نستطيع أن نجد لوحات منقوشة من عمل الإنسان الأول، تدل على أن إنسان تلك العصور قد عرف الموسيقى البدائية، وتشير الصور المنقوشة على جدران المقابر، والآلات الموسيقية التي عثر عليها في مصر، على أن المصري القديم كان منذ فجر التاريخ يميل بطبعة إلى الغناء والموسيقى، ويستخدمهما في المناسبات في حياته الاجتماعية، وفي العديد من طقوسه الدينية. ويمكننا أن نقطع بأن الموسيقى على غرار سائر الفنون وثيقة الصلة بها، كالرقص والتمثيل الإيمائي والشعر

والمسرح، تنحدر من أصل ديني.

وهي موسيقى عامة يشترك فيها كافة البشر، وتتصف بالبساطة في أصولها، وتتميز ببروز قوي في إيقاعها، كما أن طابعها يتسم بالمسحة الدينية ويتصل بطقوس معتقداتهم، ومما يدلنا على ذلك ما ذكره "فيثاغورس" العالم اليوناني الذي جاء إلى مصر في عهد الاحتلال الفارسي، أي في القرن السادس قبل الميلاد، من أنه جمع ما وجده في مصر من عناصر موسيقية مكَّنته من وضع نظريته في الموسيقى.

كذلك ذكر "هيرودوت" عندما زار مصر في سنة 460 قبل الميلاد، أن المصريين ينشدون لحنًا حزينًا، هو أقدم الألحان عندهم، وذكر "ديمتريوس الفاليري" نحو عام 280 قبل الميلاد، أن كهنة مصر كانوا يكرمون آلهتهم في الاحتفالات بالتراتيل، وكانوا يرتلون بالأحرف المتحركة السبعة واحدًا بعد الآخر على التتابع، وكان هذا النوع من الغناء يغني عن استعمال المزمار أو القيثارة، ولا يزال الكثير من الألحان القبطية يرتل بهذه الأحرف إلى اليوم، وكان القدماء المصريون يرون أن طريقة الترتيل بهذه الأحرف تؤدي إلى التعبير عن شعور ديني عميق. ومع انتشار المسيحية في البلاد المختلفة منذ القرن الأول الميلادي، وبداية بناء وتكوين الكنائس نشأ - في كل قطر- فن موسيقي كنسي تمشي مع النزعة الفنية الموسيقية لكل شعب، وشكَّل الشعب موسيقاه بما يتفق مع ذوقه، مستمدًّا ذلك من تقليده.

من هنا كان دور الأقباط إلى الآن واضحًا في الحفاظ على تاريخ أجدادهم من الاندثار عبر الزمن، بعدما احتضنوا موسيقي أجدادهم

بمزجها بعبادتهم داخل جدران كنائسهم وتطويرها لتخرج لنا أنغامًا يفوح منها عبق التاريخ، ليرسم لنا ملامح مصرية أصيلة كالتي رسموها على جدران معابدهم القديمة.

الفصل السادس

الفلك

بداية نشأة التقويم المصري القبطي في سنة 4241 ق. م، أي في القرن الثالث والأربعين قبل الميلاد، عندما رصد المصريون القدماء نجم «الشعرى اليمانية»، ووضعوا هذا التقويم برصد ثلاثة ظواهر طبيعية معًا، وهي: «الشروق الاحتراقي للنجم» مع «شروق الشمس» مع قدوم «فيضان النيل»، ثم حسبوا المدة بين كل ظهورين حتى وصلوا إلى عدد أيام السنة. وقسموا السنة إلى ثلاثة فصول كبيرة هي: الفيضان، والبذار، والحصاد. ثم إلى اثني عشر شهرًا، كل شهر منها ثلاثون يومًا، وأضافوا المدة الباقية وهي خمسة أيام وربع وجعلوها شهرًا أسموه الشهر الصغير، وصارت السنة القبطية 365 يومًا في السنة البسيطة و366 يومًا في السنة الكبيسة، وقد احترم الفلاح المصري هذا التقويم، نظرًا لمطابقته للمواسم الزراعية، ولا يزال يتبعه إلى اليوم.

وأول شهور السنة القبطية هو شهر توت، نسبة إلى العلامة الفلكي الذي وضع التقويم المصري القديم واخترع الأحرف. وقد وُلد توت في قرية منتوت التي لا تزال موجودة وتتبع مركز أبو قرقاص محافظة المنيا بصعيد مصر بنفس اسمها القديم.

وقد كتب عالم المصريات «بريستد» أن هذا التقويم العظيم حمله «يوليوس قيصر» إلى روما، واستعمل فيها على أنه أفضل تقويم. ويذكر د. إسحاق عبيد في كتابه «حكمة المصريين»: أن هذا التقويم هو أول تقويم علمي «تقويم شمسي»، وتتبعه كافة شعوب العالم المتحضر. وأن التقويم الميلادي العالمي مأخوذ من التقويم الجريجوري المأخوذ من التقويم الروماني المأخوذ من التقويم المصري.

حدد المصريون المسيحيون بدء تاريخهم بيوم 29 أغسطس عام 284م، وهو اليوم الذي استشهد فيه الكثير منهم، وذلك بنفس التقويم الذي استُخدم في مصر قبل ذلك التاريخ. وهو يتبع الحساب الجولياني (استخدام السنة الكبيسة بأمر من يوليوس قيصر في عام 46 ق. م)، ويسمى بالتقويم القبطي، ويطلق عليه تقويم الشهداء.

التقويم القبطي يتبع الحساب الشمسي، وهدفه إحصاء الأيام والفصول والأعوام الشمسية الكاملة وتحديدها جميعًا بالنسبة لدورة الكرة الأرضية حول الشمس.

ومع تقدم العلوم، بدأ الأقباط المصريون تسجيل الاختلاف بين دورة قمر وآخر، ومتوسط الوقت الذي يستغرقه القمر في دورانه، والوقت بين ظهور هلال جديد والذي يليه، ويسمى الشهر القمري.

وقد بُني حساب التقويم القبطي القمري على قاعدة وضعها الفلكي اليوناني ميتون في القرن الخامس ق. م، وهي أن كل تسعة عشرة عامًا شمسية تعادل 235 شهرًا قمريًّا كاملًا بغير كسور.

استخدم الأقباط هذه القاعدة منذ القرن الثالث الميلادي، وهو

يحدد عيد القيامة بأنه الأحد التالي للقمر الكامل الذي يلي الاعتدال الربيعي مباشرة.

وقد أخذ الغربيون هذا الحساب وطبقوه على التقويم الروماني، فاتفقت الأعياد المسيحية عند جميع المسيحيين، كما كان يحدده التقويم القبطي حتى عام 1582، حين ضبط الغربيون تقويمهم بتعديل الأب جريجوري الثالث عشر.

كان التقويم القبطي قد صار على نهج التقويم المصري القديم، ولا يزال هذا التقويم دليلًا نافعًا ودقيقًا للطقس والفصول والزراعة، والنيل في فيضانه، ولا يزال المزارعون يراعونه في كل ما يخص الزراعة والحصاد.

لذلك في عام 284م، اعتمد المصريون تقويمًا عُرف بالتقويم القبطي - وما زال يُعرف بهذا الاسم حتى الآن- وقد كان يُعد امتدادًا طبيعيًّا للتقويم السكندري، الذي كان بدوره امتدادًا طبيعيًّا للتقويم المصري القديم، وفي ذلك العام سابق الذكر تقلد الإمبراطور الروماني دقلديانوس حُكم مصر، وقد تم اعتماد السنة الشمسية 365 يومًا وربع اليوم، كما تم استخدام نظام الكبس؛ بحيث يُصبح عدد أيام النسيء ستة أيام في السنوات الكبيسة التي تأتي كل أربع سنوات مرة، وقد قُسمت السنة إلى اثني عشر شهرًا، هي: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبة، أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بابه، أبيب، ومسرى. حيث تبدأ السنة القبطية بشهر توت الذي تتحدد بدايته بيوم 29 آب حسب التقويم الشرقي (الجولياني) الموافق 11 أيلول حسب التقويم الغربي (الجريجوري)، بطول 30 يومًا للشهر الواحد.

وطبقًا لفيضان النيل والأعمال الزراعية التي مارسها المصري

القديم من بذر وجني للمحصول, فقد قسَّم سنته إلى ثلاثة فصول, ومدة كل فصل أربعة شهور، وقد أُطلق على تلك الفصول: فصل الفيضان (آخت)، ويبدأ مع فيضان النيل في أواخر الشهر السادس من شهور السنة وينتهي في الشهر العاشر، ثم فصل الشتاء أو البذر (برت) ويلي الفصل السابق, ثم الفصل الأخير (شمو), وهو فصل الصيف أو الحصاد.

توت: مشتق من اسم الإله تحوت، إله المعارف ومخترع الكتابة. وفي هذا الشهر كان يعم ماء النيل أراضي مصر، وتطلق التقاوي من الغلال لزراعة الأراضي، وفيه توجد أنواع متعددة من المحاصيل مثل: الرمان والزيتون والقطن والسفرجل، ويقولون في الأمثال «توت، أزرع ولا أفوت».

بابة: وهو مشتق من اسم الإله بي تبدت، إله الزرع، وفيه يخضر وجه الأرض بالمزروعات. ومن محاصيل هذا الشهر التمر والزبيب والقلقاس. ويقولون في الأمثال: «إن صح زرع بابة غلب القوم النهابة».

هاتُور: وهو مشتق من اسم الإله آثور، إله الحب والجمال. وفي هذا الشهر يتجمل وجه الأرض بجمال الزراعة؛ لذلك يقولون: «هاتور أبو الذهب المنثور».

كيهك: وهو مخصص للمعبود كا ها كا، أي عجل أبيس المقدس. وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد إغراق أرضه، وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم. ويقولون في الأمثال: «كياك، صباحك مساك، تقوم من فطورك تحضر عشاك»؛ وذلك نسبة إلى قِصَر اليوم في هذا الشهر.

طوبة: وهو مخصص للمعبود إمسو، ويسمى أيضًا خم، وهو شكل من أشكال آمون رع إله طيبة بمصر العليا أو إله نمو الطبيعة. وفي هذا الشهر تُسقى أراضي القلقاس والقصب، ويظهر الفول الأخضر والنبق. ويقولون في الأمثال: «طوبة تخلي الصبية كركوبة من البرد والرطوبة».

أمشير: وهو مأخوذ من إله الزوابع منتو، ويقولون في الأمثال: «أمشير أبو الطبل الكبير والزعابيب والعواصف الكثير».

برمهات: وينسب إلى الإله بامونت إله الحرارة، وفي هذا الشهر تزهر الأشجار، ويكون اللبن الرائب أطيب شهور السنة. ويقال في الأمثال: «برمهات، اطلع الغيط وهات».

برمودة: وهو مخصص للإله رنو أو إله الرياح القارصة أو إله الموت، ويصور بصورة أفعى. وفي هذا الشهر يكثر الورد ويزرع الخيار والملوخية ويقطف أوائل عسل النحل. ويقولون في الأمثال: «في برمودة دق بالعمودة».

بشنس: وهو مخصص للإله خنسو إله القمر، وفي هذا الشهر يبدأ ظهور البطيخ والمشمس والخوخ ويجنى الورد الأبيض. ويقولون في الأمثال: «بشنس يكنس الغيط كنس».

بؤونة: وهو ينسب للإله خنتي إله المعادن. وفي هذا الشهر يكثر ظهور الخوخ والمشمش ويطيب التوت الأسود، ويقولون في الأمثال: «بؤونة تكثر فيه الحرارة الملعونة».

أبيب: وهو ينسب إلى هوبا إله الفرح أو حابي إله النيل. وفي هذا الشهر يكثر العنب ويطيب التين وتكثر الكمثرى ويقطف بقايا عسل

النحل. ويقولون: «أبيب طباخ العنب والزبيب».

مسرى: معناها ابن الشمس؛ لأنه مخصص لولادة الشمس. وفي هذا الشهر ينضج الموز والليمون والتفاح والرمان. ويقولون في الأمثال: «مسرى تجرى فيها كل ترعة عسرة».

تعددت السُّبل والوسائل التي اتبعها القبطي من أجل الحصول على تقويم مُتَّزن وغير مُترنح زمنيًّا، وكذلك ثابت وغير مُتأرجح فلكيًّا، وقد أنتجت هذه السُّبل والحلول والانتهاجات عدة نتائج، منها تحديد أزمنة الزراعة ووقت الحصاد، وتحديد الأيام والشهور وفصول العام، مما ساهم في الارتقاء بالحياة خلال تلك العصور، وما زالت هذه العلوم هي مصدر إلهام للفلاح المصري في زراعته حتى يومنا هذا.

الفصل السابع
الصناعة

استطاع المصريون الأقباط أن يتقنوا العديد من الصناعات وأن يطوروها خلال القرون الستة الأولى التي عاشتها مصر مسيحية محتفظة بهويتها الفرعونية، فقد أتقن الأقباط عدة صناعات كما هو مذكور في كثير من المراجع التاريخية النادرة التي سردت لنا هذه الحقبة المنسية في تاريخ مصر.

فقد أتقن الأقباط صناعة النسيج إتقانًا عظيمًا، وكانوا يصدرون منسوجاتهم إلى روما وبيزنطة. ولما كان الفن القبطي فنًّا شعبيًّا لا يخضع للحكومة وقيودها؛ فإن صناعة النسيج لم تقتصر على العواصم بل انتشرت بطول البلاد وعرضها، فكانت المنسوجات الكتانية تصنع في مدن مصر السفلى لملاءمة الجو لها. أما المنسوجات الصوفية فكانت تصنع في مدن مصر العليا، ولا تزال هذه الصناعة قائمة في بعض المدن حتى الآن.

ولقد تفنن النساجون الأقباط في صناعة المنسوجات، ويدل على هذا قطع النسيج الموجودة بالمتاحف المصرية والعالمية، وقد استخدم النساجون الأقباط أساليب متعددة غاية في الدقة للحصول على أنواع مختلفة من المنسوجات، مثل نسيج القباطي، النسيج

الوبري، نسيج اللحمة الزائدة.

ومع تطور هذه الصناعة، وصلت لمرحله فنية راقية في الإتقان، وقد حدث امتزاج طبيعي بين الموروثات القائمة والرؤية الفنية النابعة من العقيدة المسيحية، أخرجت لنا فنًّا جديدًا يجمع بين الفن المصري والروماني في روحانية ورمزية وتجريدية في أغلب الأحيان، وتعبر المنسوجات القبطية عن هذا الفن الجديد بصورة واضحة، والتي تميزت بثراء وغزارة عناصرها الزخرفية ذات الألوان البراقة، والتي نفذت معظمها بأسلوب القباطي أو اللحمات غير الممتدة، وهو أسلوب أقرب إلى التطريز منه إلى النسيج، حيث أتاح هذا الأسلوب للتصوير شبه المجسم للبورتريهات المنسوجة، مشابهًا بذلك الرسوم الكلاسيكية القديمة، وذلك بمراعاة الظل والمنظور، وقد انتشرت مصانع النسيج في تلك الفترة بمدينة الإسكندرية.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك صعوبة في تحديد هوية الحركة الفنية في مصر خلال الحقبة المسيحية، وربما كانت الصعوبة هنا تندرج تحت مفهوم الاختلاط الحادث في المجتمع المصري بتأثير الوجود اليوناني والروماني، ونتج عن ذلك ردود أفعال فنية وثقافية متباينة ومركبة عبَّرت عن المفهوم الشعبي في المجتمع المصري في تلك الحقبة، حيث جاء الفن مكملًا للمتغيرات التاريخية، ومواكبًا للرؤية الدينية الجديدة، ومعبرًا عن ثقافة شعب له من الجذور الحضارية الكثير، فقد مَثَّل الفن القبطي كيان ومعاناة وهموم المصريين في رؤية جديدة نابعة من أفكارهم وتراثهم، وتمثل هذا الفن بوضوح في زخارف منسوجاتهم. ولذلك أطلق العرب على النسيج المصري ذي الشهرة الواسعة اسم نسيج «القباطي»، نسبة إلى أقباط مصر. ويعتبر من أقدم المنسوجات المزخرفة، وأول محاولة للحصول على

زخرفة نسجية مكونة من لونين أو أكثر. وكانت وسيلة صنعه تعد من أبسط الوسائل التي اتُبعت في صنع أقمشة مزخرفة مصنوعة من الكتان والصوف. اشتهر أقباط مصر بعمل النسيج القباطي.

وذكر المؤرخ المقريزي في كتابه «الخطط والآثار» أن المقوقس، حاكم مصر، أهدى الرسول محمدًا عشرين ثوبًا من قباطي مصر، كما كسا الكعبة منه أيضًا. والكعبة هي البناء الحجري المكعب الكائن بداخل الحرم الشريف بمكة، بالمملكة العربية السعودية، ومغطى بكسوة.

لقد أعجب العالم بقماش القباطي، وكان يصدر إلى بعض الدول المطلّة على البحر المتوسط. ثم بدأ يندثر من مصر، لظهور طرق أخرى، فقد بعث من جديد في زخرفة المنسوجات بفرنسا في القرن السابع عشر، في عهد لويس الرابع عشر، وأخذ اسمًا جديدًا هو الجوبلان. كذلك في النسيج الذي عرف بالأوبيسون، نسبة إلى مدينة أوبيسون في فرنسا. ولم تقتصر صناعة القباطي على مصر فحسب، بل انتشرت إلى معظم بلاد الشرق الأوسط، ثم أقبلت إيران وتركيا منذ القرن السادس عشر على إنتاج منسوجات القباطي، عندما أخذت أوروبا تنتجه تحت أسماء أخرى مستعارة.

كان كهنة الكنيسة يرتدون ما يسمى بطرشيل، وهو الصدرية التي يرتديها الكاهن فوق تونية (جلباب الكاهن) والتي غالبًا ما تصنع من الكتان الأبيض وعليها زخارف دينية مطرزة على الصدر. وتونية الكاهن كانت تصنع في الغالب من الكتان الأبيض، وعليها أشرطة بها زخارف نباتية. والتونية تكون متسعة، إشارة إلى صبر الكاهن وسعة صدره، وتكون أيضًا طويلة لتغطى الجسم وتستر عيوبه.

أما الحرير فيندر وجوده في قباطي هذه الفترة؛ ويرجع السبب في ذلك إلى قلة خامة الحرير وغلائها. كما اعتبرْ رجال الدين أن ارتداءها مُنافٍ للرجولة.

وقد شهدت هذه المرحلة زيادة استخدام الرموز المسيحية، حيث أصبح التصوير لأشكال الإنسان والحيوان أكثر تجريدًا، واستُخدمت الأقمشة في الكنائس والأبنية العامة كستائر، وكذلك كأغطية للأَسِرَّة، ومفروشات ومناشف، وأغطية مناضد، وأكياس وحقائب، وزاد استخدام وشيوع الصوف؛ إذ كان سهل الصبغ بالأصباغ النباتية.

في نهاية القرن التاسع عشر بدأت الحفائر تكشف عن الآثار القبطية، وللأسف لم يحظَ النسيج القبطي باهتمام كبير من جانب علماء الآثار بقدر اهتمامهم بالمنقولات الأثرية الأخرى، ويرجع ذلك إلى أن تلك المنسوجات في الغالب سُلبت أثناء الحفائر الأثرية، وقد أدَّى هذا السلب إلى الاتِّجار بتلك القطع بعد تقسيمها إلى قطع صغيرة تفقد في النهاية أي أثر ينم عن نشأتها، وتضع الباحثين أمام صعوبات عديدة خاصة بتحديد مراكز صناعتها وتأريخ مناسب للقطع.

وقد قسم علماء القبطيات مراحل الفن القبطي إلى:

المرحلة الأولى: يطلق عليها نسيج العصر الإغريقي الروماني، وتمتد من القرن الأول إلي القرن الثالث الميلادي، وتمتاز منسوجات هذه الفترة من الناحية الزخرفية بكثرة استعمال الرسوم الآدمية والحيوانية، بجانب العناصر النباتية والهندسية. وتمثل هذه الرسوم الطبيعة أصدق تمثيل، فهي مليئة بالحياة والحركة، كما تمتاز بحسن

التأليف وبالتوزيع المنتظم والألوان الطبيعية إلى حد كبير.

المرحلة الثانية: تطور الفن القبطي وتأثره بالزخارف الوثنية، وتعرف بعصر الانتقال (من القرن الرابع إلى نهاية القرن الخامس الميلادي)، ومنسوجات هذه الفترة هي همزة الوصل بين نسيج العصر اليوناني- الروماني، ونسيج المرحلة الثالثة، وهو "القبطي"، فهي لا زالت تستعمل رسوم وموضوعات النسيج الإغريقي- الروماني، وإن كانت تعوزها الحياة والحركة وصدق تمثيل الطبيعة، غير أنها تمتاز بكثرة استعمال الرموز المسيحية.

المرحلة الثالثة: مرحلة ازدهار الفن القبطي بزخارفه المسيحية، وتعرف بنسيج العصر القبطي (من القرن السادس إلي التاسع الميلادي)، فقد اتسم النسيج بالرسوم الرمزية للأشخاص والحيوانات، والتي أصبحت فيما بعد من أهم مميزات هذا الفن.

صناعة الفخار:

نبغ المصري القديم منذ عهد ما قبل التاريخ في صناعة الفخار، وظلت تلك الصناعة مزدهرة في العصر القبطي حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وكثر استعمالها إلي درجة أنه يروى أن البائعين في ذلك الوقت كانوا يسلمون ما يبيعونه من المواد للمشترين في أوانٍ من الفخار، وأحيانًا من الزجاج دون مقابل, وترجع كثرتها ورخصها إلى سهولة الحصول علي المواد التي تُصنع منها ووفرتها، وكانت غالبيتها تصنع من الطين أو الطفل أو طمي النيل.

وقد انتعشت صناعة الفخار في العصر القبطي, وعلي الأخص

الأطباق كبيرة الحجم والقدور مختلفة الأحجام، التي كثر استعمالها في الأديرة والكنائس لحفظ النبيذ اللازم في الصلاة الدينية، وكان أغلب تلك الأطباق والقدور تزين برسوم جميلة مختلفة كأشكال الحيوانات والطيور والأسماك والصلبان ونبات الكرم وغيرها من الرسوم الرمزية، وأحيانًا نشاهد عليها رسوم القديسين، ومن مميزات فخار ذلك العصر خلوه من الطلاء المعدني اللامع كما حدث في العصور الإسلامية.

وتقول الدكتورة فاطمة محمود محمد، مدير عام البحث العلمي بالمتحف القبطي:

«كان قدماء المصريين يعتقدون أن الإله خنوم مسئول عن تكوُّن الطفل في بطن أمه, وكان يرسم دائمًا كالفخراني الذي يضع الطفل علي دولاب الفخار, وقد اهتم علماء الآثار في أواخر القرن الماضي بدراسة الأنواع المختلفة من الفخار، وكثيرًا ما نجد في أبحاثهم المعلومات التي ساعدتنا لمعرفة تاريخ القطع الفخارية تبعًا لأشكاله وزخارفه، مما يسهل علينا معرفة مصدر وعصر القطع الفخارية, وكان للفنان القبطي أسلوبه الخاص في الرسم علي الأواني الفخارية، حيث استخدم الرسوم الهندسية كالدوائر وأنصاف الدوائر والخطوط المتقاطعة والطولية والعرضية والأشكال المجدولة والمتموجة, وكذلك استخدم الرسوم النباتية مثل الكروم وأوراقه وزهرة اللوتس وسعف النخل, هذا بخلاف الرسوم الحيوانية مثل الأسد والأرنب والغزال والحصان والحيوانات المحورة، وأيضًا الطيور مثل النسر والحمام والطاووس، واستخدم الأسماك والضفدعة والحوت.

وكل أنواع الزخرفة المرسومة علي الفخار لها دلالة خاصة من

الرمزية في الديانة المسيحية، مثل السمك الذي يرمز إلي السيد المسيح، والحمام إلي الروح القدس، والكروم إلي السيد المسيح، والأسد يرمز إلى القديس مرقس. ويميز الفنان القبطي في رسومه علي الأواني الفخارية تقسيم الإناء إلي خطوط طولية وعرضية، ويوجد بداخلها الرسم المطلوب، على خلاف ما نجده في العصر البطلمي أو الروماني.

صناعة الدواء:

ورث الأقباط عن أجدادهم الفراعنة براعة في الطب والتشريح والكيمياء والصيدلة والهندسة والفلك، واستمروا في نبوغهم في هذه العلوم طوال العصرين اليوناني والروماني، حتى أصبحت مدرسة الإسكندرية الوثنية القديمة هي أقوى مدارس العالم في هذه الدراسات، ثم تأسست المدرسة القبطية المسيحية وتابعت أيضًا دراسة هذه المواد، ونتج عن ذلك نهضة علمية لا مثيل لها، وتخرَّج عليهم كثير من علماء العالم القديم، وظهر فيهم هيرو فلاس مؤسس علم التشريح، وإيرستسراتوس مؤسس علم وظائف الأعضاء، وديموكريتوس صاحب نظرية الذرة، كما ظهر أيضا العالم الماهر كرنيليوس كسلوس الذي وضع تذكرته الطبية الشهيرة لمنع تلف الأسنان، وسرابيون السكندري الذي تعمق في دراسة عقاقير قدماء المصريين ولا سيما الكريهة الطعم منها، والذي قدمها للعصور المتتابعة فظلت إلى القرن الثامن عشر. ووضع الأقباط في الإسكندرية أغلبية المصطلحات الطبية ومنها مثلا كلمة (medicina) عقاقير (medicamentus) دواء أو سم، و(abotheca) مخزن الدواء، وأخذ العالم منهم هذه المصطلحات

التي لا تزال مستعملة، وهذه الشهرة التي نالتها مصر القبطية في الطب والصيدلة والكيمياء جذبت إليها العلماء من أقطار العالم كله للدراسة على أيدي أساتذتها، ومن هؤلاء جالينوس، العالم المشهور الذي ظهر في القرن الثاني الميلادي، والذي تنسب إليه مجموعة العقاقير الجالينوسية المستعملة في العصور الحديثة، فقد تتلمذ هذا العالم في الإسكندرية وأخذ من جامعتها فلسفته وطبه وصيدلته. وقد نشط العالم لدراسة المخطوطات الطبية القبطية ولمس ما فيها من فائدة، وقد ظهر هذا جليًا في بحث الأستاذ (تل) في العقاقير الطبية القبطية، الذي يبين مدى تقدم الأقباط في الصيدلة والكيمياء والطب، كما وضع أيضا الأستاذ دوسن عام 1924 كتابا عن تاريخ الطب عند الأقباط في القرون الأولى للمسيحية، وشرح بالإضافة للعقاقير أدوات الجراحة التي كانوا يستخدمونها. ومن أهم ما وصل من مخطوطات قبطية طبية، بردية شاسيناه التي تمتاز بعلاج العيون ومداواة الخراجات وعلاج بعض أمراض النساء والأطفال، وقد كان فيها كثير من الوصف لأمراض العيون وبعض قطرات والمساحيق، منها قطرة قابضة لمنع النزيف. ولا تقل بردية زينون أهمية عن بردية شاسيناه، وهذه البرديات تكشف ما وصل إليه الأقباط من معرفة بأصول وفن صناعة الدواء وتركيباته الكيميائية، وبالأخص التفاعلات التي كانت تتم على النيران.

ويقول نيت ولتسكي في كتابه "الطب الشعبي المقارن" إن كثيرًا من العلاجات والمستحضرات المعروفة في أوروبا منذ القرون الوسطى تحمل الطابع المصري القديم الذي طوره الأقباط وحملوه إلى الغرب، ولم تقتصر براعة الأقباط على الطب والصيدلة والكيمياء فقط، بل امتدت أيضًا إلى الحساب والرياضيات.

كما يذكر أيضا أن الذي قام بتدريب ابن النفيس هو طبيب قبطي، وكان المرجع الطبي الذي كتبه يوحنا النقاوي من أهم المراجع الطبية عند العرب، كما أن أول عمل علمي طبي مكتوب بالعربية هو لقبطي أيضًا لمؤلفه أهرون السكندري، كما أن المفضل بن الماجد الذي كتب كتابًا بعنوان "كيف نروى ظمأنا للمعرفة الطبية"، كان قبطيًّا.

الهندسة:

برع الأقباط وظهر نبوغهم في الهندسة وأعمال البناء، فقد ذكر الأزرقي في كتاب «أخبار مكة» أن الكعبة طغى عليها قبيل ظهور الإسلام سيل عظيم صدَّع جدرانها، فأعادت قريش بناءها مستعينة في ذلك بنجار قبطي كان يسكن مكة، وأثبتت الأوراق أن الوليد استعان بالقبط في بناء مسجد دمشق والمسجد الأقصى، وفي إعادة بناء مسجد المدينة أيضًا، ولمَّا أعاد عمر بن عبد العزيز بناء الجامع النبوي في المدينة عهد بذلك لمعماريين من القبط بنوا فيه أول محراب مجوف في تاريخ الإسلام، وقد أخذوا شكله من حنية الكنيسة، وقد اثبت العلماء أن قصر المشتى في شرق الأردن مأخوذ من الزخارف القبطية، ومن تخطيط بناء الديرين الأحمر والأبيض في سوهاج، وتتجلى البراعة الفائقة في القبطي سعيد بن كاتب الفرغاني الذي أقام جامع ابن طولون على عمودين فقط، بعد أن استقر كل مهندسي هذا الزمان علي أنه لن يبنى بأقل من 300 عمود.

صناعة السفن:

وقد ساهم الأقباط في بناء الأساطيل البحرية العربية بعد الغزو

العربي، ويقول ج. ف. حوراني في كتابه عن الملاحة عند العرب: «استغل العرب الأقباطَ في بناء السفن بمدينة الإسكندرية، حيث اتخذوها مقرًّا لأسطولهم البحري، وأن العرب اعتمدوا بشكل أساسي على القباطنة الأقباط؛ لعدم خبرتهم في أمور البحر»، ويقرر المؤرخ المسلم الطبري أن انتصار العرب على الأسطول البيزنطي عام 715م كان بفضل تكامل البحارة الأقباط والمحاربين المسلمين حَمَلة السيوف. وقد قدَّم الأقباط للعالم أول موتور يعمل بالبخار، اخترعه رجل عبقري يدعى هيرو.

صناعة الأخشاب:

تجلَّى تفوق الأقباط في فن النجارة، في درايتهم الكاملة بالأنواع المختلفة للأخشاب. فلم يتوقف استخدامهم على الأنواع المحلية - كما كان الحال عند قدماء المصريين- مثل خشب الجميز والنبق والسنط والنخيل، بل لجئوا إلى استيراد أجود الأنواع من الخارج، مثل خشب الأبنوس من إثيوبيا وجنوب السودان، والأرز من لبنان وسوريا، والساج من الهند، بالإضافة إلى خشب الجوز والبندق والبلوط من أوروبا وغرب آسيا وغيرها.

ففي بادئ الأمر عند استخدامهم للأخشاب المحلية، فإنهم كانوا يشقونها ألواحًا ويسكبون عليها المياه، ثم يتركونها معرضة للشمس مدة كافية حتى تجف، وحتى لا تلتوي بعد صنعها تبعًا لتغير حرارة الجو، ومنها ما كانت رائحته ذكية تساعد على منع الحشرات التي تفتك بها سريعًا.

وعندما استوردوا الأصناف الأخرى من الخارج نشأت لديهم طريقة

تطعيم الخشب، فيصنعون البرواز الخارجي من الخشب العادي، ثم يزينون سطحه بحشوات منقوشة من أنواع أخرى فيزداد رونقها وبهاؤها.

وكان أعز أنواع الأخشاب عند الأقباط خشب الزيتون، الذي ورد ذكره كثيرًا في الكتاب المقدس، فكانوا يصنعون منه - وحتى الآن- الأختام المستخدمة في ختم الخبز المقدس الذي يستخدم في الصلوات الكنسية، وكذلك خشب الجميز، إذ يُعتقد أنها شجرة مقدسة؛ لكونها تعيش أجيالًا عديدة بدون ري بالماء، حتى إن المصريين القدماء كانوا يكثرون من زراعتها بجانب المقابر والمعابد، وصنعوا منها توابيت الموتى.

استمر تزيين الخشب ونقشه برسم صور دينية ومناظر من حياتهم وأعمالهم إلى حوالي القرن العاشر الميلادي في عصر الفاطميين، عندما تبدلت هذه الصور بأشكال هندسية ونباتية تتخللها صور الطيور والحيوانات.

. وأهم ما يستلفت النظر في صناعة الأبواب الدقيقة والحواجز الخشبية بالكنائس، والتي يطلق عليها اسم حامل الأيقونات، أنها تتكون من عدة قطع صغيرة من الخشب المخروط أو المنقوش. وتتجلى روعة تلك الصناعة في أنه يمكن تجميع أجزائها بعضها إلى بعض دون استعمال المسامير أو الغراء في تثبيتها، وأن بين كل حشوة وأخرى تُركت مسافة كافية، مراعاة لما قد يحدث في الأخشاب عادة من تمدد أو انكماش تبعًا لاختلاف فصول السنة، فيتسنى لها بذلك أن تتكيف حسب اختلاف درجات الحرارة طوال العام.

تجلى تفوق الأقباط في فن النجارة، في درايتهم الكاملة بالأنواع

المختلفة للأخشاب. فلم يتوقف استخدامهم على الأنواع المحلية كما كان الحال عند قدماء المصريين، مثل خشب الجميز والنبق والسنط والنخيل، بل لجئوا إلى استيراد أجود الأنواع من الخارج مثل خشب الأبنوس من إثيوبيا وجنوب السودان، والأرز من لبنان وسوريا، والساج من الهند بالإضافة إلى خشب الجوز والبندق والبلوط من أوروبا وغرب آسيا وغيرها.

ففي بادئ الأمر عند استخدامهم للأخشاب المحلية، فإنهم كانوا يشقونها ألواحًا ويسكبون عليها المياه، ثم يتركونها معرضة للشمس مدة كافية حتى تجف، وحتى لا تلتوى بعد صنعها تبعًا لتغير حرارة الجو، ومنها ما كانت رائحته ذكية تساعد على منع الحشرات التي تفتك بها سريعًا.

وعندما استوردوا الأصناف الأخرى من الخارج نشأت لديهم طريقة تطعيم الخشب فيصنعون البرواز الخارجي من الخشب العادي ثم يزينون سطحه بحشوات منقوشة من أنواع أخرى فيزداد رونقها وبهاؤها.

وكان أعز أنواع الأخشاب عند الأقباط خشب الزيتون الذي ورد ذكره كثيرًا في الكتاب المقدس، فكانوا يصنعون منه ـ وحتى الآن ـ الأختام المستخدمة في ختم الخبز المقدس الذي يستخدم في الصلوات الكنسية، وكذلك خشب الجميز، إذ يعتقد أنها شجرة مقدسة لكونها تعيش أجيالًا عديدة بدون ري بالماء حتى أن المصريين القدماء كانوا يكثرون من زراعتها بجانب المقابر والمعابد وصنعوا منها توابيت الموتى.

استمر تزيين الخشب ونقشه برسم صور دينية ومناظر من حياتهم

وأعمالهم إلى حوالي القرن العاشر الميلادي في عصر الفاطميين عندما تبدلت هذه الصور بأشكال هندسية ونباتية تتخللها صور الطيور والحيوانات.

وأهم ما يستلفت النظر في صناعة الأبواب الدقيقة والحواجز الخشبية بالكنائس والتي يطلق عليها اسم حامل الأيقونات، أنها تتكون من عدة قطع صغيرة من الخشب المخروط أو المنقوش. وتتجلى روعة تلك الصناعة في أنه يمكن تجميع أجزائها بعضها إلى بعض دون استعمال المسامير أو الغراء في تثبيتها، وأن بين كل حشوة وأخرى تركت مسافة كافية مراعاة لما قد يحدث في الأخشاب عادة من تمدد أو انكماش تبعًا لاختلاف فصول السنة فيتسنى لها بذلك أن تتكيف حسب اختلاف درجات الحرارة طوال العام.

هذه لمحات مختصرة عن بعض الصناعات التي برع فيها الأقباط وأتقنوها، وأسهموا من خلالها بشكل كبير في إثراء الحضارة الإنسانية.

الفصل الثامن

أوروبـا

مكانة مدينة الإسكندرية التجارية وعراقتها قديمًا، جعلت منها بوتقة للتجانس والتعددية الثقافية، وكان لها عظيم الأثر في التأثير الثقافي والأدبي على مستوى العالم، وهو ما سهَّل نقل الثقافة المصرية المسيحية إلى بلاد أوروبا بشتى الطرق، سواء مع التجار المصريين أو مع بعض الرحالة أو النساك الأقباط.

فقد انتشرت فكرة الرهبنة القبطية في أوروبا من خلال عدة طرق، منها الرحالة الأجانب الذين جاءوا إلى مصر وزاروا الأديرة المصرية ثم أعجبوا بالفكرة ونقلوها إلى بلادهم، من بين هؤلاء نذكر روفينوس، بلاديوس، يوحنا كاسيان، جيروم... إلخ. وأيضًا من خلال كتاب «سيرة أنطونيوس» الذي كتبه القديس أثناسيوس الرسولي خلال نفيه الثاني إلى روما. لكن توجد وسائل أخرى منها سفر بعض الرهبان إلى إيرلندا لتعريف الشعب الإيرلندي بالمسيحية وتأسيس دير هناك، وهم سبعة من رهبان الدير المحرق توجهوا إلى إيرلندا، ولقد حدث ذلك في القرن الخامس الميلادي، ولقد ذكرت هذه الحقيقةَ التاريخية العديدُ من الكتب والمراجع العربية والأجنبية، منها مخطوط صلوات قديم محفوظ بالأكاديمية الإيرلندية بمدينة دبلن عاصمة إيرلندا، جاء فيه:

«إني أبتهل إلى سبعة الرهبان المصريين في صحراء أولادي أن يكونوا في عوني»، كما ورد في كتاب صلوات قديم محفوظ في الكنيسة الإيرلندية «اذكر يا رب عبيدك رهبان الدير المحرق الذين هدونا إلى الإيمان». وفي المكتبة الأهلية بباريس يوجد دليل للرهبان الإيرلنديين الذين كانوا يزورن مصر، ولا سيما الرهبان والأديرة المصرية، ومنها أديرة وادي النطرون، ويذكر بعض المؤرخين أن أفواج الحجاج من إيرلندا كانت تتوافد على مصر حتى الربع الأول من القرن الرابع عشر.

ويقول المؤرخ الإنجليزي الشهير ستانلي لين بول (1854-1931) في أحد كتبه: «إننا لا نعلم بعد مبلغ ما ندين به نحن هنا في الجزر البريطانية لأولئك النساك القدامى الآتين من مصر، فمن المحتمل جدًّا، بل أكثر من المحتمل، أن نكون مدينين لهم بكرازة الإنجيل لأول مرة في إنجلترا، إذ إنه حتى زمن مجيء أوغسطينوس إلى إنجلترا، كان النظام السائد هو النظام المصري، وهناك أيضًا ما هو أعظم أهمية، وهو أن المسيحية الإيرلندية، وهي العامل العظيم في تحضر الشعوب الشمالية في أوائل العصور الوسطى، كانت ابنة للكنيسة المصرية. إن سبعة من الرهبان المصريين مدفونون في صحراء أولديت، كما أننا نجد في احتفالات إيرلندا وأسلوبها المعماري من أقدم العصور الشيء الكثير الذي يُذكرنا بالآثار المسيحية الأكبر عمرًا في مصر، ويعرف الجميع أن المشغولات اليدوية الإيرلندية تتميز بصورة فائقة على مثيلاتها مما قد يوجد في أي مكان آخر بأوروبا، فإذا كانت قطع الحلي الرائعة من الذهب والفضة، وأنوار الزينة الملونة التي لا مثيل لها يمكن إرجاعها إلى تأثير المبشرين المصريين، فعلينا أن نشكر الأقباط على الكثير مما

لم يكن يتخيله أحد».

ويؤكد العالم الإنجليزي الشهير ألفريد بتلر (1850- 1936) هذه الحقيقة أيضًا، إذ يذكر في كتابه الشهير «كنائس مصر القبطية القديمة» «أن مسيحيي إيرلندا تأثروا في عمارة كنائسهم وأديرتهم بعمارة الكنائس القبطية القديمة، فبدلًا من كنائس كبيرة متسعة، بنوا عددًا من كنائس صغيرة متجاورة يحيط بها سور يضم مباني رهبانية، ثم يلاحظ أيضًا أن الإيرلنديين استعاروا من الأقباط نوع القباب الذي يسقفون به صحن الكنيسة والهيكل، وهو من طراز ليس له نظير في بلاد الغرب المسيحي فيما عدا إيرلندا».

ويقول أيضا ليدويش: «إن تصميم الكنائس في بلدة جلاستونبري مقتبس من الكنائس المصرية».

ذكر العالم المصري مرقس سميكة باشا (1864- 1944) في كتابه «دليل المتحف القبطي- الجزء الثاني»، أنه شاهد في مكتبة بودليان بأكسفورد كتابين مخطوطين أحدهما باللغة الإيرلندية والثاني باللغة القبطية، معروضين للمقارنة جنبًا إلى جنب، ويوجد بينهما شبه عظيم في نوع الزخارف المستعملة في تزيينهما.

كذلك أيضًا عثر علماء الآثار في إيرلندا على علب معدنية من البرونز أو الفضة المزينة بنقوش بارزة تحتوي على نسخ من الأناجيل، أو مخطوطات أخرى مصنوعة على نفس طراز العلب القبطية المستخدمة في مصر، وهي ترجع إلى أوائل القرن السادس الميلادي.

القديسة فيرينا قديسة قبطية:

كانت ترافق الكتيبة الطيبية بعض العذارى من القبطيات اللاتي كنَّ يقمن بإعداد الطعام ورعاية الجرحى، وغير ذلك من الأعمال، وكانت من بينهن القديسة فيرينا التي نشأت في مدينة جراجوس بالقرب من مدينة طيبة (الأقصر)، ويعني اسم فرينا باللغة القبطية الثمرة أو البذرة الطيبة، ولمَّا قُتل أفراد الكتيبة الطيبية كلهم لم تغادر المكان راجعة إلى مصر، وإنما مكثت تخدم الرب يسوع في مكانها، فعلَّمت الشعب الوثني المسيحية، وقامت بتعليمهم أسس العلاج من الأمراض باستعمال بعض الأعشاب الطبية، وعلمتهم النظافة الجسدية بالاغتسال بالماء، وكانت تزور مدافن شهداء الكتيبة الطيبية، ويعتقد الكثيرين أن القديسة فيرينا هي ابنه عم القديس موريس قائد الكتيبة الطيبية، وقد اعتبر كثير من المؤرخين أنها أم الراهبات في أوروبا.

وحدث أن اكتشف أحد الحكام الرومان أمرها فأمر بسجنها، ولكنها بعد مدة خرجت من السجن وعادت لما كانت تفعله قبل سجنها مع زميلاتها العذارى، وكانت تسكن معهم أحد الكهوف الجبال التي تنتشر في سويسرا.

وتنيحت القديسة فيرينا في سنة 344م وبنيت فوق جسدها كنيسة في مدينة تمبورتاخ بسويسرا، وعند منتصف الجسر المقام على نهر الراين بين سويسرا وألمانيا يوجد لها تمثال وهي تحمل جرة بها ماء، ويبلغ عدد الكنائس التي تحمل اسمها في سويسرا وحدها 70 كنيسة، وفي ألمانيا 30 كنيسة.

ولا يعرف المصريون المسيحيون أن مصرية قبطية عاشت

في وسط أوروبا، وجسدها مدفون في إحدى كنائسها، يرسمون صورتها وفي يدها إبريق ماء وفي الأخرى «المشط» الذي تستخدمه المصريات منذ العصر الفرعوني، يرسمونها على هذا النحو تخليدًا للدور الذي قامت به هذه المصرية في العناية بالمرضى في هذه المناطق، وفي تعليم أهلها النظافة، منذ أكثر من خمسة عشر قرنًا.

أيضًا تجلى تأثير الفن القبطي في أوروبا الغربية بمدينة «رافينا» Ravenna الإيطالية مثلًا، ففي قصر تيودوريك بتلك المدينة يوجد موزاييك مأخوذ عن النماذج المعروفة بمدينة باويط - بالقرب من ملوي- بمصر.

كذلك بآثار مدينة «سان فينالا» Saint Vinnala تظهر أجزاء كبيرة من البناء لها علاقة قوية بالمصادر القبطية في باويط.

كذلك عند دراسة الفن في كبرى كاتدرائيات أوروبا وأقدمها، ثم اكتشاف عوامل التأثير القبطي في كنيسة القديس بطرس في مدينة «ميتز» Metz الفرنسية وفي مدينة «سانت لاورنت» الفرنسية التي بنيت على نمط بازيليكا القديس مينا بمريوط التي بناها البابا ثاؤفيلس والمعروفة باسم كنيسة أركايوس. أيضًا يوجد تأثير قبطي في كاتدرائية مدينة «كور» السويسرية.

كذلك فإن تأثير القبط على فن المخطوطات وصل إلى أوروبا في القرن السابع، وإلى إنجلترا في أواخر القرن الثامن، فالزخارف التي كانت تحلَّى بها صفحات الكتب وأغلفتها في هذا العصر هي محاكاة لما هو معروف عن الكتب القبطية. ولعل غلاف المجلد الذي يحمل نباتًا متسلقًا مع رأس حيوان في «لندوا» Lindau بجنوب ألمانيا، مثل واحد من أمثلة كثيرة تدل على مدى التأثير القبطي في هذا

المجال. كما أخذ عن القبط طريقتهم في زخرفة الاختصارات – ولا سيما ذات المعنى الديني- منها مثلًا الاختصارات القبطية واليونانية لكلمات: المسيح، الصليب، الشهداء.

تعددت الوسائل والطرق في التواجد القبطي منذ القديم في أوروبا، سواء عن طريق النساك أو انتقال الفن القبطي بطرق عديدة، لتبقى بصمتهم حاضرة وشاهدة إلى الآن على أنهم امتداد للجين الفرعوني الأصيل الذي صنع حضارة ضاربة في جذور التاريخ، ليحتضنها القبطي ويعتز بها سواء داخل جدران كنائسه التي ما زالت تتغنى بالألحان القبطية المستمدة من الموسيقى الفرعونية، أو اللغة القبطية المندمجة بالفرعونية، أو عادات وتقاليد طقسية على الطريقة المصرية القديمة.

المراجع

1. توقعات الفلكية على الشهور القبطية، لشيخ الإسلام أحمد البشتكي (مخطوطة في 1678هـ) http://www.wdl.org/ar/item/2842/1089

2. الموسيقى القبطية والموسيقى اليهودية في أحضان النيل، د. أحمد يوسف الطويل، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة: القاهرة، 2015.

3. مقدمة في الفلكلور المصري، د. أحمد علي موسي، مركز عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية: القاهرة، 1995.

4. تاريخ الأقباط (القول الإبريزي للعلامة المقريزي)، أحمد بن علي المقريزي، دار الفضيلة.

5. المدخل إلى الفولكلور المصري، الجزء الأول (علم الفلكلور)، د. محمد الجوهري، دار المعارف: القاهرة, 1975.

6. حضارة مصر القبطية، منير غبور وأحمد عثمان، دار مدبولي: القاهرة، 2010.

7. حضارة مصر في العصر القبطي، د. مراد كامل، مكتبة المحبة.

8. التحفة البرموسية في شرح وتتمة قواعد حساب الأبقطي

للكنيسة القبطية الأرثوذكسية، عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي، [د.م]: [د.ن]، مطبعة الشمس: القاهرة، 1925.

9. إحياء الموسيقى القبطية في العصر الحديث، د. ماجد عزت إسرائيل. http://www.gocp.gov.eg/Thkafa/newsd.aspx?NewsId=557

10. الفن المصري، الجزء الثالث (الموسيقى والمسرح والفن السكندري والقبطي) دار المعارف: القاهرة، 1976.

11. القبط في الحضارة الأوروبية، مقال منشور بمجلة روز اليوسف، يناير 2015 http://www.rosamagazine.com/articles/2449

12. التأثير اليوناني على الفن القبطي، برنامج مصر الخالدة التابع لمكتبة الإسكندرية http://www.eternalegypt.org/EternalEgyptWebsiteWeb/HomeServlet?ee_website_action_key=action.display.module&story_id=&language_id=3&module_id=305

13. الفن القبطي الوريث الشرعي للفن المصري القديم، سهير عبد الحميد، مؤسسة الأهرام digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=88989&eid=429

14. الكنائس الشرقية، المسيحية الشرقية، عزيز سوريال عطية، ترجمة إسحاق عبيد.

15. تأثير الأقباط على الحضارة، د. أمين مكرم عبيد، 2009.

16. سلسلة مقالات "اللغة القبطية المفترى عليها"، لطيف شاكر، مؤسسة الحوار المتمدن- لعدد: -2821 2009 / 11 / 6 - 11:04 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=190699

17. لغتنا وسيلة، مقال لمحمد البدري، 2010 http://anti-arabism.blogspot.com/2010/05/blog-post_9573.html

18. مصر في عهد الولاة، د. سيدة إسماعيل الكاشف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988.

19. قبطي في عصر مسيحي، د. زبيدة محمد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013 .

كتاب "إسهامات الأقباط في الحضارة الإنسانية" يضم بالأساس نتاجا لأوراق بحثية تم عرضها لأول مرة خلال مؤتمر "الحياة في مصر خلال العصر القبطي" الذي نظمته مكتبة الاسكندرية سبتمبر 2010، وضم 120 باحثا من كافة أنحاء العالم.

يلقي الكتاب الضوء على الحياة في تلك المرحلة، وكيف ورث الأقباط أجدادهم الفراعنة، وبرعوا في العديد من المجالات مثل الطب والتشريح والكيمياء والصيدلة والهندسة والفلك، وامتد هذا التميز خلال العصرين الروماني والعربي حتى وصل تأثيرهم إلى أوروبا.

فعلى مدى مئات الأعوام كان المرجع الطبي الذي كتبه يوحنا النقاوي من أهم المراجع الطبية لدى العرب، كما أن الذي قام بتدريب ابن النفيس -أحد أشهر الأطباء في تاريخ الحضارة العربية- كان طبيبا قبطيا، ولن تعجب لو عرفت أن أول عمل علمي طبي مكتوب بالعربية كان لقبطي أيضا هو اهرون السكندري.

لا يدعي هذا الكتاب أنه أتم دراسة الجوانب العملية والفكرية لتلك المساهمات -الضخمة ولكن المنسية- في الحضارة الإنسانية بعامة وفي تاريخ مصر والمنطقة بخاصة، ولكنه يسعى لأن يكون لبنة تساعد في إقامة بناء جديد للدراسات القبطية في مصر؛ بما يليق بإسهامات الأقباط في تاريخ مصر والعالم.

Cover design by: Alaa Elnewehy

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

